معزوفة

على قيثارة الوطن

شعر



أحمد فؤاد شنيب

مجلس الثقافة العام

حسن أبو يوسف اللويثي

معزوفــة

على قيثارة الوطن

معزوفة
على قيثارة الوطن

شعر

أحمد فؤاد شنيب

الناشر
مجلس الثقافة العام

اسم الكتاب	معزوفة على قيثارة الوطن
اسم المؤلف	أحمد فؤاد شنيب
سنة النشر	2006م
رقم الإيداع	7613
الترقيم الدولي	9959 - 38 - 165 - X
تصميم الغلاف	علي العباني
لوحة الغلاف	علي العباني
التنفيذ الفني	عاطف الأطرش – نجلاء المنقوش

إصدارات

مجلس الثقافة العام

المقر الرئيس – مجمع المؤتمرات – سرت

هاتف 002185468622 – بريد مصور 002185473161

فرع طرابلس – عمارة الواحات – شارع عمر المختار

هاتف 00218214449894 – بريد مصور 00218213335388

ص ب 2764 طرابلس

فرع بنغازي – الفويهات الغربية – الطريق الدائري الثاني

هاتف 00218612241577 – 00218612241578

بريد مصور 00218612241576 – ص ب 9351 بنغازي

بريد إلكتروني - LCC2_2005@Yahoo.ca

الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى

تنفيذ الطباعة

القاهرة ت 0020123140315

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

لديوان الشاعر الليبي المعروف

الأستاذ أحمدفؤاد شنيب

عندما كنتُ في زيارة له مطلع هذا العام صحبة الأستاذين حسن السوسي ومحمد الفرجاني، استقبلنا بذات الحرارة والتّرحاب الّذي تعودناه منه كلّما جئنا منزله العامر، وما إن استقره بنا المقام ودار حديث الذّكريات حتّى بادرتُه قائلاً: لقد مرّ أكثر من ستّين عامًا على عودتكَ من المهجر إلى الوطن، ولم ينتظر أن أكمل السؤال وكأنّما عرف بقيّته فقال: عندما كنتُ في سوريا كانوا يطلقون عليّ المغربي باعتبار أن كلّ مهاجر من دول المغرب العربي يحمل هذه الصّفة، وبعودتي إلى درنة وأنا في العشرين من عمري صاروا ينعتونني بالسوري باعتبار اللهجة التي رجعت بها ولازمتني حتى الآن، بل وتسرّب جزء

منها لأبنائي رغم مولدهم جميعًا في ليبيا، وسواء أكنتُ مغربيًا أو سوريًا فأنا في الحالتين عربي وهذا هو المهم.

هكذا أجابني المربّي والشاعر الكبير الأستاذ أحمد فؤاد شنيب على سؤال بدأتُه وأتمّه بهذه الإجابة الشّافية، وتشعّبت الأحاديث، وَغطّى دفء المشاعر على برودة شهر يناير. وعلى مدى ساعتين سعدنا بالاستماع إليه يروي لنا طرفًا من ذكرياته عن المعارك السياسية والشعرية الّتي صاحبت التّحضير للاستقلال، وما تلا ذلك من أحداث. ووجدنا أنفسنا وقد أثقلنا عليه وهو الّذي يعاني آلامًا أعانه الله على تجاوزها فاستأذنّا للانصراف، وأصرّ على مرافقتنا حتى الباب الخارجي مودعًا بذات الحفاوة الّتي استقبلنا بها.

وحال عودتي للمنزل وجدت طلبًا من ابنة الشّاعر السيدة فاتن شنيّب لأكتب تصديرًا لديوان والدها الّذي تعتزم طبعه ليكون هديتها له، ولم أكن لأتأخر عن تقديم هذا الإسهام المتواضع إكرامًا لابنة صديق وأخ عزيز أُكِنّ له كلّ المودة والتّقدير، رغم أنني على قناعة تامة بأنني لست ناقدًا محترفًا وما أكتبهُ لا يعدو رؤية انطباعية لعمل إبداعي. وعدتُ بالذّاكرة لأكثر من أربعين عامًا حينما التقيتُ بالشّاعر مصادفة

في شارع عمر المختار بمدينة بنغازي لأول مرة. وقف وسلّم عليّ بحرارة وسألني عن والدي مبديًا رغبة في لقائه ووعدته بتحقّيق ذلك حالما يأتي من مقرّ سكناه بقرية الأبيار، وقد كان. وتوالت السّنوات حاملة في تقلّبها الكثير واستمرّ تواصلنا عبر الزيارات واللقاءات الأدبية الّتي كانت تحتضنها كليّة الآداب أو في غيرها من الأماكن، وكانت له قناعاته الخاصّة الّتي لا يتردّد في الجهّر بها دون مواربة، فهو صريح في آرائه، مجادل واسع الاطّلاع صدامي في غير عدوانية، الوفّ لا يُمَلّ مجلسه، وقد استحوذ على شعره الهمّ الوطني والقومي وهما وجهان لعملة واحدة، ولعل بروزهما الواضح في إبداعه راجع لاستعداده الفطري ونشأته في سوريا والتي كانت تُنعت بقلب العروبة النّابض حيث المشاعر القومية عالية الوتيرة. نستمع إليه في هذا المقطع من قصيدة بعنوان (علّموني):

أنا ظمآن إلى الماضي إلى الذّكرى إلى حلم الطّفولةْ
وضفاف النّهر والبستان والسّوق وساحات البطولةْ
وإلى أحفاد مروان وهند والفتوحات الجليلةْ
دولةٌ في شرقها السّند وفي المغرب أسوار مليلةْ

استحوذ عليه ذلك الوجه الجميل لماضي مشرق، ولكنّه حينما يعود للحاضر يبصر واقعًا مغايرًا لدرجة الفجيعة.

وقرعتُ الباب والحيرة لا ترحم أفكاري الكليلةْ
لم هذا البّاب قد أوصد في وجهي؟ وحرّمتُ دخولةْ
أيكون المجدأوهامًا ورسمًا وأكاذيب وبيلةّ؟

لقد سافر الشّاعر بحكم عمله - أو في زيارات للتّرويح - لبلاد عديدة، ولكنّ قلبه توزّع بين موقعين مدينة درنة حيث مقر أصوله ومدينة بنغازي الّتي قضّى فيها معظم أيامه منذ عودته من المهجر نراه يقول في قصيدته (بعد الغربة) عن درنة:

وحَنت درنة الجميل تختال بثوب العروس بين الكعاب
وشربنا من مائها كلّ ما لذّ وطاب في الأمسيات العذاب
علمتني دروبها كيف أهوى وأعبّ الغرام عبّ الشراب
والسواقي يهمسن في أذن الزّهر حديث العشّاق للأحباب
وهدير الشّلال يوقظ أحلامي وعبق النّسرين شهد رضاب
مهرجان الأفراح ينضح بالعزّ تولّى وما له من إياب

ويمنح بنغازي التفاتة تتبني عن الاعتزاز والحبّ الذي لا تخطئه العين يقول من نفس القصيدة:

وعـرفت الشّـموخ في مـجد بنغـازي وعــزّ الـرّجــال عند الـغــلاب
تجـعل الـكبـرياء في الـنّفس لحنا عـبـقـري الخلود حلو الإهاب
علمتني كيف الصّمود على الأحداث تقسو في الحـالـكات الصّعاب
يغـــــضب الأهل كلّـهم وهـي أمّ في سـمـاح الـنّهى ودون عـتـاب
كلّمـــا رمتُ عن ثراها غـــيــابا سئم القلبُ عن ثراها غـيـابي
يهــرم الدّهر والحنين إلى الأوطان أقـــوى من خـــالد الأحــقــاب

والشّاعـر الذي مارس كتابة الشّعـر لأكثر من ستّة عقود لا يسـتغـرقـه غـرض واحـد، فـقـد كـتب الشّـعـر الوطني والقـومي والإسلامي والاجتماعي والغزل وله باع طويل في كل هذه المجالات فله فـي الغـزل قـصـيـدة مـعــروفـة عن ذكـريات باريسـيـة وفـي الإسلامي نقتطع هذه الأبيات من قصيدة بعنوان سراييڤو:

نـحـن أوجـــــاعـك يا تـوأم غــــرنـاطـة فـي الـدّاء المكينْ
أنـتِ إن متّ فـلـن تسـطـع من بعـــدك شـــمـس للـيــقـينْ
وبـحــــار الـكون لـن تـكـفـي أن تـغـــسـل عـــار المسلمينْ

وله قصيدة فكهة عنوانها (موظف ومعاش) يقول منها:

واحـتـرس من نشـل مـا جـئـت له وحــــواليـك من الـنّـاس أممْ
أيّهــا المسكين لا تـخـشـى الغنى إنّـه فـــاكـــهـــة لا تـنـهــضمْ

فـانثـر القـرش لجـزّار سـعى واقض للخـضّـار دينًا وذممْ
وانفض الكفّين واسـتلقِ على قشّكَ الدّافئ واسـتغـفـر ونمْ

وهو شـاعر عـمودي في مجـمل أشـعـاره وإن كان يخـرج عن هذا المنحى إلى ما يماثل الموشّح كقصيدة (مواكب الفكر) منها:

اذكــــري يا بطـاحْ واشـهـدي يا سـمـاءْ
وابســمي يا جــراحْ لانبــثــاق الرّجــاءْ

إن فـجـر المجـد قـد أقـبل يخـتـال ابتـسـامًا
وتراءى النّور للأحــرار يجـتــاح الظلامـا
وهفـا قلبي للقـيـاه حـبـيـبـا مـسـتـهـامـا
عـجـبـا للنّور يبـدو بعـدمـا كـان حـرامـا

مـجّـدي يا بطاحْ واسـردي يا سـمـاءْ
إنّ ربّ الســلاحْ مـات رمـز المضـاءْ

رجـع الحــادي وفـي ترديده رجع البطولهْ
عـاد أمـضى من حـسـام بعـد مـا أروى غليلَهْ
واحـتـفى في مـوكب الموت بتشـييع الرجـولهْ
حـسـبـهـا فـوز تناهى خلّد التّـاريخ جـيلهْ

يــا زهــور الــبــطــاحْ　　　يا حنان السّـــمـــاءْ
قلّـداه الـوشــــــاحْ　　　فـــوق رمس الـوفـــاءْ

إن هذه اللّمحة الموجرة لإبداعات شاعر معروف واكب مسيرة الوطن منذ خروج الإستعمار الإيطالي البغيض حتى الآن لا تعدو إطلالة تقود خطى القارئ الكريم وهو يرحل بين صفحات هذا الديوان متنقّلا من غرض لآخر وإنني لعلى ثقة بأن هذا الإبداع الّذي تأخر كثيرًا سوف يمثّل ظهوره إضافة ترفد مسيرة الشّعر في بلادنا وتحية لهذا القلم المعطاء بالقادم الجديد مؤملاً أن تكون فرحته وهو يحمله بين يديه باتّساع الكون حتّى تشملنا جميعًا.

راشد الزبير السنوسي

بنغازي في 2006/3/15

بسم الله الرحمن الرحيم

حسن السوسي – شاعر

صديقنا الشاعر الكبير الأستاذ أحمد فؤاد شنيب من الوجوه المتألقة في الشعر الليبي له مكانته المرموقة وحسّه المتميز... وهو إلى جانب اشتغاله بالشؤون الإبداعية.. قد مارس التعليم والتربية واشتغل بالإدارة والسياسة.. يتميز شعره الرصين بالطابع القومي والسّمة الوطنية تحسّ في قصائده الوطنية والقومية ذلك الحماس المتأجج وتلك الغيرة الصادقة التي ربما لا تظهر عند كثير من الشعراء.

ربما اقتبس ذلك الحماس وتلك الغيرة من موروثات أسرته المناضلة وبيئته المجاهدة.. فعمه المناضل الكبير عمر فائق شنيب علم من أعلام النضال في المهجر.. وقبل المهجر.. كان يلتف حوله ومعه هناك في (دمشق) أو (المفرق) في الأردن رجالٌ مخلصون شغلهم الشاغل الوطن وقضية الوطن.. وفي

هذه البيئة الصالحة نشأ الشاعر أحمد فؤاد شنيب وترعرع متشبعًا بتلك الروح الوهاجة.. فلابد أن يكون شعره الوطني والقومي ملتهبًا ومتوهجًا، عرفته أول ما عرفته.. من بعيد.. حينما كان على رأس وزارة التربية والتعليم وأنا مفتش بها في بنغازي.

ثم شاء الله أن نجتمع سنة 1969م في وفد ليبيّ إلى مؤتمر الأدباء العرب في بغداد.. هناك عرفته عن قرب وعرفت فيه كل الصفات المتميزة التي كان يتحلى بها..

وفي السنوات الأخيرة كنا نلتقي في الأصبوحات الشعرية التي كان يقيمها قسم اللغة العربية في جامعة قاريونس فكنا نستمع إليه وهو يلقي شعره بحماسه المعهود ممتلئًا ثقة وحماسًا..

كتب في كل الأغراض الشعرية ولكن الطابع المميز له هو النبرة القومية والوطنية، نحن كأصدقاء ومبدعين ننتظر أن يكون له ديوان يضم أشتات شعره لنطّلع على المزيد مما لم نطلع عليه فنحن لم نطلع إلا على نماذج فقط من شعره.

فحبذا لو تمكن من إصداره في وقت قريب ليتسنى لمحبي ومتتبعي نشاطه الشعري الاطلاع على المزيد منه.

زرناه آخر مرة منذ حوالي الشهر بعد عودته من رحلة علاج فكان - كعادته - لطيفًا كريمًا، يصر على أن يمتعنا بحديثه وأن يخدمنا بنفسه، بصفتنا ضيوفًا له رغم أثر المرض عليه.. وأن يودعنا إلى الباب الخارجي رغم برودة الطقس ليلتها..

حيّاه الله وأكرمه بالشفاء العاجل وأمدّ في حياته حتى يتمكن من تقديم أعماله الإبداعية في (ديوان) شامل.. بما فيه تلك الملحمة.. التي سمعنا عنها كثيرًا ولم نتمكن من الاطلاع عليها حيث إنه لم يجمعها حتى الآن.

حسن السّوسي

بنغازي في 2006/3/15

يرى الجاهليّون أنّ الزمن يسيطر على الإنسان سيطرة تامّة؛ فالزمن هو القوّة الفاعلة في الكون، بل «من الشعراء من جعل الناس بني الأيّام»، وكم كنت أرى موافقة هذه النظرة كلّما حاصرني الزمن متذكرًا علاقتي بأستاذنا الشاعر أحمد فؤاد شنيّب، وكان الزمن كريمًا معي بضعة أعوام وثّق فيها علاقتي بالأستاذ الشاعر؛ حيث كنت أقعد إليه كما يقعد المريد إلى شيخه، وكأنّني أكفّر عن تلك السنوات التي كان الزمن فيها ضنينًا معي فلم يجمعني بالأستاذ الشاعر بالرغم من تردّد اسمه؛ لكنّ اسمه السياسيّ - حينها - تغلّب على الاسم الثقافيّ ما جعلني أنصرف عن السعي إليه.

أراني أقعد إليه فأنصت إلى تراتيله التي ينشدها، وكنت أرفع البصر حين إنشاده شعره الوطنيّ فأشعر أنّ الرجل الذي يسعى إلى التسعين وتسعى إليه قد رجع عن طريق إنشاده إلى عنفوان شبابه فأكسبه ذلك الإنشاد فتوّة ابن العشرين، أشعر بظمئه الحقيقيّ حين يتفجرّ حنينًا مغلّفا بغضبه النفسيّ، وبغضب الهاء التي ولدت قافية على لسانه، بل بغضب

الحروف الفخمة التي تتناوب القرع والشدّة في ثنايا أبياته إذ يقول:

أنا ظمآن إلى الماضي، إلى الذكرى، إلى حلم الطفوله
وإلى أحفاد مروان وهند والفتوحات الجليله
دولة شرقها السند، وفي المغرب أسوار مليله
وقرعت الباب والحيرة لا ترحم أفكاري الكليله
لم هذا الباب قد أوصد في وجهي؟ وحرّمت دخوله؟

أبيات مدوّرة لا تجد فيها النفَس ولا يجد فيها النفْس راحة لأنّ الظمأن مسيطر، والسرعة مطيّة الوصول إلى الأحلام، وإلى معانقة أحفاد مروانه، والإرتماء في أحضان بني أميّة.

أشعر أنّ أستاذنا يقرع قلوبنا مشاركين إيّاه حيرته، صارخين معه باستفهامه الذي يقطر دمًا، وأشعر أنّ صوته المملوء غضبًا يرقّ رقّة المسلم الحق الذي يحنو على إخوته في سراييفو مستشفعًا عبادته وأعماله النبيلة حين يتقمصّ شخصيّة أحدهم:

كلّ ذنبي أنّني صمت، وصلّيت، وقلت: الله أكبر

ولأنّي أقــرأ القــرآن بقلب يتـــذكّــر
وأبيت في مـوكب الفـجـر يصلّي بين مـحـراب ومنبـر
وأخي يجـهـر بالإيمان مـقـدامـا، وبالإسـلام يفـخـر

وكم كنت أتألّم حين ينشـد غـربتـه؛ تلفّــهُ بردة الغـريب، وتكتنفه أحاسيس الشيب:

عـدت يا دار والهـمـوم ركـابي وعذاب الشيب بعض عذابي
خدعتني مطامح النفس دهرًا فتلمّست سلوتي في اغترابي
غـيـر أنّي فـقـدت نفسيّ لمّا فقد القلب ألفتي، وصحابي
وتولّى الشـتـاء أمـر حـيـاة هي يوم مكرّر في حـيـاتي

غربة مركّبة؛ غـربة مكانيّة، وغـربة نفسيّة، وغـربة زمانيَّة، وغربة النقد، وغربة النمطيّة المملّة تحيط بصاحبنا، وما أقسى أن تكون الهموم راحلة يمتطيها شاعرنا، وما أصعب أن يكون المشيب «بعضًا» من عذابه، ولا شكّ أنّ الخداع مرّ، وما أقساه كين تمارسه نفس الإنسان ضدّ صاحبها، وما أمرّ أن «يتلمّس» الشاعر سلوته في اغترابه! وهل بعد فقد النفس من فقد؟! وهل بعد برودة الشتاء من برودة؟!

حيّا الله أستاذنا الشاعر النبيل أحمد فؤاد شنيّب، ومدّ

اللّه في عمره ليمتعنا بترانيمه وتراتيله. وإنّني لأسعى إليه في هذه الوريقة ليغفر لي سنوات قصّرت فيها عن السعي إليه، وأسعى إليه - أيضًا - ليغفر لي قصوري وتقصيري عمّا يجب عليّ تجّاهه من تحيّة حال الزمن دونها لسرعة الطلب، وسرعة التلبية.

محمّد جاب الله الفرجاني

الشاعر.. والوطن.. والقصيدة!

سالم الكبتي

الشاعر عين مشرعة على الحياة.. وهو شاهد زمانه وضمير عصره.

و«أحمد فؤاد شنيب» واحد من هؤلاء.. من الذين نهضوا بمسؤولية القصيدة الجميلة والحركة الشعرية الحديثة في ليبيا بعد جيل رفيق والشارف والأسطى عمر. وهو تشرّب الوطنية والشعر - دفعة واحدة - مبكرًا..

فكان الوطن بالنسبة له قصيدة شعر كبرى حملها في قلبه.. بانسانه.. وتاريخه.. بمدنه وقراه.. بصحرائه وجباله.. وكل شيء فيه.. صار الشعر وطنًا موزونًا مقفّى عند شنيب على الدوام، وظل الوطن والشعر، قضيتين متلازمتين لا تفارقانه.

هاجرت أسرة شنيب من الوطن إلى بلاد الشام بسبب عنت الاحتلال الإيطالي، وولد هناك في المهجر يوم انطلاق

الثـورة السـورية 1923 ضـد الاحـتـلال الفـرنسـي، ونشـأ على ضفاف نهر العاصي بحماه ثم في دمشق في بيئة وطنية وجد وطني عابق بالانتماء إلى الجذور البعيدة. كان الوطن - ليبيا - في المهجر مختصرًا في حنايا البيت الذي عاش به.. فتح بصره على حكايات الوطن، والحنين إلى الوطن. دائمًا بقي الوطن في الخاطر قصيدة وحلمًا رغم القيود والأسوار، ثم امتزج هذا الوطن مع دم القلب عقب العودة وهو يعلّم الأجيال أبجدية حب الوطن، ويمارس واجباته في انتماء واثق للوطن وأبنائه.. عيون الغد المشرقة.. الغد الناهض من الرماد والفقر والجوع والخوف ومنارات الدماء.

في سنة 1948، وكان الشاعر أحمد فؤاد شنيب، ما يزال معلمًا في درنة المتكئة في حضن الجبل، شرع في تجربة أدبية من نوع آخر (تحدث في ليبيا لأول مرة.. ربما)، فكتب أول مسرحية شعرية اسماها (الأرض الخالدة) تجاوزت منذ ذلك التاريخ إلى فترة لاحقة حوالي عشرة آلاف بيت، ولم تر النشر إلى الآن، كان أساسها (عزة ونصر) ابنا هذه الأرض.. هذا الوطن ولوّنا المسرحية بظلال من جهاد الرجال وبطولاتهم.. من العادات.. من تواصل حياة الناس.

أحمد فؤاد شنيب بشعره الوطني.. وعاطفته.. وملحمته الشعرية.. شاعر من طراز خاص ومسكون بعشق الوطن.. والإنسان!

بَعد الغُربة

1992

عُدْتُ يا دارُ، والهمومُ رِكابي
وَعَذابُ المَشيبِ بَعْضُ عَذابي
خَدَعَتْني مطامِحُ النفسِ دهراً
فَتَلمّستُ سَلْوَتي في اغترابي
وَبَلَغْتُ البُعادَ شرقاً وغرباً
واتَّخذْتُ المُلوكَ من أترابي
وغزوتُ العيونَ من كل أرضٍ
وبنيْتُ القُصورَ فوقَ السحابِ
وعشِقتُ العيونَ مِنْ كل لونٍ
وكسِبتُ الأمجادَ من كل بابٍ

***

غـــيـــرَ أنِّي فَــقَـــدْتُ نفــسيَ لمَّا

فَــقَـــدَ القلبُ أُلفــتي وصِــحــابي

وإذا الحُـــــــرُّ فــــــارَقَ الـدارَ هَوْنـاً

لمْ يجـد في جناه غـــيـــرَ السَّـــرابِ

***

عُــــــــدتُ يـا دارُ والسـنونَ أنـاختْ

مـــثـــقَـــلاتٍ على رَبيعِ شَـــبَـــابي

وتـولَّـى الشـــتـــاءُ أمْـــرَ حــيـــاةٍ

هـي يـومٌ مُكَـرَّرٌ فـي حِــــســــابـي

***

وَقَفَ الـعُــمْــرُ حينَ سَـارَعَتِ السنونَ

تَسـعـى إلـى مـآلِهـا في اليَـبـابِ

وَغَــفَتْ نَزْوَةُ الشــبــابِ على جــرحٍ

يَــنِــزُّ الآلامَ فــي الأوصــــــــابِ

كُلُّ عـيشٍ - مـا طالَ - طَرْفَـةُ عَـيْنٍ

ثم تَمْضِي الأجـسـامُ غـيبَ التـرابِ

***

عـــدتُ يا دارُ ســـائلاً عن رفـــاقٍ

آنَســوا وحْـدَتِي وآســوا مُـصــابي

وحَنَتْ «درنةُ» الجـمـيلةُ تخـتـــالُ

بثـــوبِ العـــروسِ بين الكَعـــابِ؟

وشــربْنا من مـــائِهـــا كُلَّ مـــا لذَّ

وطابَ في الأمـســيـــاتِ العِـذابِ

وَعَـــرَفْنا الحـــيـــاةَ تَزْخَـــر بِالفَنِّ

لِشِـــعْـــرٍ وشَـــاعـــرٍ، وكِـــتـــابِ

علَّمـــتْني دُروبُهـــا كـــيفَ أهوى

وأعـبُّ الغَـــرامَ عَبَّ الشـــرابِ

والخُـــزامَى في نشـــوةٍ راقـصـــاتٌ

يتـــغـــزَّلْن بالورودِ العـــجـــابِ

ونُضُــــوجُ الـرُّمَّـــانِ في صَـــدْرِ

واديكِ مُـــدَامٌ مُطرَّزٌ بالحُـــبَابِ

والسَّـــوَاقِي يَهْـــمِـــسْنَ في أُذُنِ

الزَّهرِ حديثَ العُشَّاقِ لِلأحبابِ

وهديرُ الشَّـــلالِ يُوقِظُ أحـــلامي

وعَـبَقُ النِّسـرينِ شَـهْـدُ رضـابِ

مـهـرجـانُ الأفْـراحِ يَنْضَحُ بِالعـزِّ

تَـولَّـى، ومَـــــــــا لَـهُ مِـنْ إيابِ

***

وعَرَفْتُ الشُّموخَ في مجدِ «بنغازي»

وَعـــزَّ الرِّجـــالِ عِنْدَ الغِـــلابِ

تَجـعَلُ الكِبـرياءَ في النفسِ لحناً

عَـــبْـــقَـــرِيَّ الخُلودِ حُلوَ الإهابِ

كلماتُ التاريخِ يكتُبُها الشجعانُ

فِـيـهـا مُـضـيـئـةً كـالشِّـهـابِ

عـشـتُ فـيـهـا ألـوذُ في كَنَفِ الآمـالِ

أبْنِـي حَـــقِـــيـــقَـــتِـي وطِلابـي

علَّمْتني كَيْفَ الصمـودُ على الأحداثِ

تقْـسـو في الحــالِكاتِ الصِّـعــابِ

يَـغْـــــضَبُ الأهـلُ كُـلهُمْ، وهـي الأمُّ

في ســمــاحِ النُهى ودونَ عِـتــابِ

كُلَّمـــا رُمْتُ عن ثـراهـا غِـــيــابـاً

سَـــئِم القلبُ عَنْ ثَراها غِـيــابي

***

عُـدْتُ يا دارُ والـطفـولـةُ في صـدريَ

شَـــــــــوقٌ وثـورةٌ مِـن طـلابِ

يَهْــرَمُ الـدهـرُ والحـنـينُ إلـى الأوطانِ

أقـــوَى مِن خَـــالِدِ الأحـــقــابِ

***

علمـــوني

1996

عَلَّمـوني كـيف أنسى، وأرى في الصـمتِ أسـبـابَ الفـضـيلةْ
عَلَّمـــوني كـــيفَ لا أذْكُـــرُ تاريخي وأيامي الجـــمـــيلةْ
عَلَّمـــوني كـــيف لا تَرجِعُ أحـــلامي إلى الدنيـــا النبـــيلةْ
عَلَّمـــوني كـــيفَ لا أقـــتـــاتُ خُـــبـــزي دونَ إذلالٍ وحـــيلةْ
أَنا إنســـــانٌ، ولِي في عـــالَم العُـــرْبِ حكاياتٌ طويلةْ

***

وَأَبي كـــانَ بســـيطَ الحـــالِ قـــد نالَ من العِلْم قليلَهْ
يَزْرَعُ الحَـــقْلَ ويَرويه، فـــيـــروي من عطاياهُ غليلَهْ
هو لا يعـــرفُ - إنْ حَجَّ - حـــدودًا أو حـــراســـاتٍ ثَقـــيلَهْ
وهو لا يَحْـــمِلُ - في الظَّعْنِ - جَـــوازاً - كُلَّمـــا رامَ رحـــيلَهْ
كُلُّ هذا الوطنِ المُمْـــتَـــدِّ يَطويهِ على ظَهْـــرِ ذَلولَهْ

***

وَأَفــقْنا بعــدَ جــيلٍ، لِنرى الرَكْبَ وقــد ضَلَّ سَــبـيـلَهْ
وَشَــهِــدنـا أَرضَنا لوحــــةَ شِطْرنجٍ وأوطاناً ذليلَهْ
وعــلامــاتِ حُــدودٍ وســلاحــاً، وصــراعــاتِ قــبــيلَهْ

***

بَرَّحَ الشَّــوقُ بقلبي فَــهَــفَــا يَحْلُمُ بالأَيكِ الظليلَهْ
وعلى أجنحــةِ الأشــواقِ ســافــرتُ إلى أبهى خــمــيلهْ
أنا ظمــآنٌ إلى الماضي، إلى الذكــرى، إلى حُلْمِ الطُّفــولهْ
وضِفــافِ النهــرِ، والبــســتــانِ، والسُّوقِ، وســاحــاتِ البطولهْ
وإلى أحــفــادِ مــروانٍ وهندٍ، والفــتــوحــاتِ الجليلهْ
دَوْلَةٌ في شــرقِــهــا السِّندُ، وفي المَغْــرِبِ أســوارُ مَليلهْ
وَقَــرَعْتُ البــابَ، والحَــيــرةُ لا ترحمُ أفكَاري الكَليلهْ
لِمَ هذا البــابُ قَــد أُوصِــدَ في وجــهي؟ وحُــرِّمتُ دخــولَه؟
أَنا مِن عــدنانَ، من قَــحطانَ، من خَــيِّــرِ برايانا الأَصــيله
أَيكُون المَجْــدُ أوهامــاً ورســمــاً وأكــاذيبَ وَبيلهْ؟
وَتَكُون الوَحْــدةُ لا شيءَ ســوى أضــغــاثِ أحــلامٍ هزيلهْ

***

ليلة القدر

1996

يا ليلةَ القَـدْرِ هَلْ أنبــأْتِ عن قَـدَرِي
وَهَلْ كَشَفْتِ حِجابَ الشكِّ عن بصَري
قـد نِلتِ من شـرفِ القـرآنِ مـعـجـزةً
باهَتْ بِطلْعــتِــهـــا دَهراً من الفِكَرِ
وَحَلَّ جـبـريلُ يقـضي أَمْـرَ خـالِقِـهِ
وَعَـمَّ الـكـونِ لألاءٌ مـن الـظَّـفَـــــــرِ
وَرَفْــرَفَتْ رَايةُ الإســلامِ ســامـيــةً
ودانَـتِ الأرضُ لـلإيمـانِ عـن قَـــــدَرِ
وجِـــئْتُ أَطْلُبُ غـــفـــراناً ألـوُذ بـه
فـي الحَــــالكاتِ من الأَنـواءِ والنُذُرِ

***

نادَيْتُـهـا بدمـوع كـان يَذْرِفُـهـا
قَلْبٌ تَحـمَّلَ ألواناً مِن الغِـيَـرِ
يا ليلةَ القَـدْرِ مـا بالُ النجـومِ خَـبَتْ
وَلَمْ تَعُـدْ تَحْـتَـفي بالليلِ والسَـحَـرِ

***

وَحَلَّ في الكونِ إظلامٌ يُحـالِفُـهُ
جَـهْلٌ تَعَـاظَمَ مِنْ بُهْمٍ ومِنْ بَقَـرِ
مُلْكٌ هناكَ وفي البَـيـداء سَلْطَنَةٌ
والصَـولَجـانُ غَـدا وَخْـزاً من الإبَرِ
مـا فِـيـهِـمُـو غـيـرُ ظِلٍّ لا يُفـارِقُـهُ
حُبُّ التَـسَلُّطِ والتَـهـريجِ والضَّـرَرِ
(ألقـاب مملكةٍ في غـيـر مَـوضِـعِـهـا
كـالهِـرِّ يَحكي انتـفـاخـاً صَوْلَة) النَّمِـرِ
كـانَتْ كـمـا شـاءهـا الرحـمنُ واحـدةً
فـأصبـحتْ مـا لَهـا في القَـدْرِ من أثَرِ

***

عُـدْنا إلى غَـابةِ الأصْنام نَعْـبُـدها

مِنْ مِـثْلِ فِـرعـونَ أَوْ مِنْ كـاذبٍ أشِـرِ

قَـامَتْ على فِكرةِ التـوحيـدِ شِـرْعـتُنا

لكننـا لـم نُـوَحِّـــدْ رؤيـةَ القَـــمَـــر

عَـيــدٌ هنـاكَ، وصـــومٌ فـي مـــرابِعِنا

إنَّ الهِــلالَ بَريءٌ من عَــمى البَـصَـرِ

***

والجـــاهليـــةُ مـــا زَالَتْ تُـحَــرِّكُنا

كُنَّا مِنَ البــدوِ، أو كُنَّا من الحَـضَــرِ

يَجُـــوع فِـــينـا أُباةُ الـرافِـــدَيْنِ على

صَبْـرِ الكرامِ ويَفنى الطِّفْلُ في الحُفَرِ

والجــارُ في بهـجــةِ الأفــراح زاخــرةٌ

أَحـــقــادُهُ لم تَـدَعْ خَـــيـــراً ولم تَـذَرِ

***

قـــــالَتْ رُويدَكَ إنّـي جـــئتُ زائـرةً

فـي لحظةٍ حَـــفلَتْ بالـزُّهْـدِ والـفِكَـرِ

تَركْتُ فــيكم هدى القُــرآنِ خــالدةً

آيـاتُـهُ وتـركـــــــتُم مَـنْـهـل الـدُّرَرِ

مــا عُـدْتُمـو أمــلاً يُرجى فــأرقَـبُـهُ

وَلَـنْ أَعــودَ إليكمْ يا بْنـي البَــشَـــرِ

***

ساراييفو

1996

كلُّ ذنْبي أنّني صُمتُ وصلَّيتُ وقلتُ: اللهُ أكبرْ
ولأني أقرأُ القرآنَ ترتيلا بقلْب يتذكّرْ
وأبي في موكِبِ الفجر يصلّي بين مِحرابٍ ومنبرْ
وأخي يَجهَرُ بالإيمانِ مِقداماً وبالإسلام يفخَرْ
وحنَتْ أمي على أطفالِها، مجدي وحسناء، وأنورْ
قيّد اللهُ لنا الخيرَ فكنّا مثلما شاء وقدرْ
فأقمْنا في حِمَى الإسلام حِصناً بجنودِ اللهِ يزخَرْ
وبَسطْنا يدَنا للجارِ نَرْعاهُ ونحميهِ ونَسهَرْ
هكذا نحن، فما لِلجارِ في الطّغيانِ قد جارَ وأنكَرْ؟

***

إيهِ يا توأمَ غِرناطةَ في الأحزانِ والحب المقدَّرْ

لم يعُد عشاقُكِ يشتاقونَ للحُبِّ، ولا البستانُ يُزهِرْ
وأذانُ الفجر غيّبهُ المِدفَعُ، والموتُ تفجَّرْ

***

كلُّ ذنبي أنني أحببتُ سلَمى ومعَ الحبِّ قصيدهْ
وروى الوادي حكايانا، وأصداءَ برارينا البعيدهْ
وتغنّى الطيرُ والأيكُ بخَلْجاتِ فؤادَينا السعيده
ساراييفو، يا هوى العُشاق، والمشتاق، والروحِ الوَديدهْ
أَنْتِ يا ضَوْءَ وُرودِ الحُبِ في مَضْجَعِ حسناءَ خَريدهْ
سَكِرَ الشاعرُ من مَغْناكِ واستهدى من الحبِ نشيدهْ
وجرى دَمْعُ المحبينِ على الوادي جماناتٍ فَريدهْ
هِبَةٌ أَنْتِ من اللهِ إلى الإنسانِ، كَيْ يَشْهَدَ عِيدهْ

***

رَحَلَ القومُ إلى المجهولِ، والدمعُ حزينٌ في المآقي
رَحَلوا يَمْشونَ في الأرضِ حَيارى، لا وَدَاعٌ، لا تَلاقي
وَمضَتْ سَلْمى وحُسْنى وبناتُ الحيِ من غيرِ عِناقِ

وذوى الزنبقُ في الوادي وغاض الماءُ في جَوْفِ السواقي
والذي لم يَلْقَهُ الموتُ، غَدا للموت يسعى في اشتياقِ
وثُلوجُ الصَمْتِ في قِمّةِ «إكمانَ»[1] نذيرٌ باحتراقِ
وأنا في الخندقِ المقرورِ، والموتُ وأشلاءُ رِفاقي
وشيوخٌ، وسلاطينٌ، وأقيانٌ، وأشعارُ نِفاقِ
كُلُّنا، في الدينِ، أعرابٌ، وأشياءُ شَتاتٍ وشِقاق

***

آهِ يا خَوفي عليك اليوم من آتٍ خَفيٍّ بالشجونْ
من نِداءاتِ العذارى واستغاثاتِ اليتامى التائِهينْ
قد سَمِعْناها صباحاً، وخَفَضْنا من خَطايانا الجَبينْ
ونَسيناها مساءً، حين تُهْنا في نوادي العابثين
في مهاوي العار والخوفِ وخذلانِ قريبٍ مُستكين

***

نحن أوجاعُكِ، يا توأمَ غُرناطةَ في الداءِ المكين

(1) إكمان: جبل مطل على مدينة ساراييفو احتله الصرب وأمطروا منه المدينة بقذائف الموت.

أنتِ - إنْ مُتِّ، فلن تَستَطَع بَعـدَكِ شـمسٌ لليـقـين
وبحـارُ الكونِ لن تَكفيَ أنْ تغْـسِلَ عـارَ المسلمين

***

رسالة من ضفاف السين

1956

الشمسُ والغيمُ والأطيارُ والمَطَرُ
وضفّةُ السينِ والأنسامُ والقمَرُ
وشهرُ أيّارَ مزهوٌّ بمقدَمِهِ
وزهرةُ الكَرَزِ الجُونيِّ تنتثرُ
وَالنهرُ يَجْرِي شباباً في تَسارُعِهِ
إلى الأمامِ وَيَمْضِي إِثْرَه العُمُرُ

***

سَأَلتُ عنكَ حبيبي عندما غَمَرتْ
مِنّي المُحيا رذاذاتٌ لها خَبَرُ
سألتُ عنك حبيبي والربيعُ صحا
بَعْدَ السُّباتِ وغنّى الطيرُ والشَّجَرُ

سَـــألْتُ عن هَمَـســـاتٍ كُنتَ تَسْكُبــهـــا

في مِـسْـمَـعِي فَـيَـهـيمُ القَلْبُ والوَتَـرُ

والعــــاشـــقــــونَ سُكارى لا زمـــانَ لـهمْ

ولا مـكـانَ ولا ســــــمـعٌ ولا بَـصَـــــــرُ

دُنيـــاهُمُـــو كلُّهـــا شِـــعْـــرٌ وأُغْنِيــــةٌ

وَخَـمْــرُهُمْ من شِـفــاهِ الحُبِّ تُعـتَـصَــرُ

لو أَدْرَكَ الحُبُّ قلبـــاً قُـــدّ من حَـــجَـــرٍ

لَذابَ في الحُبِ طَوعـــاً ذلك الحَـــجَـــرُ

***

يا غـــائبـــاً حـــاضـــراً باريسُ شـــاهـدةٌ

على فَـــتـــاهـا الذي ينـأى بـه القــــدَرُ

أقـــبلتَ تحــــمِلُ همَّ الشـــرق في زمـن

كـــادتْ مــفـــاخـــرُ هذا الشـــرقِ تَنْدَثـرُ

وجُـــبْتَ كلَّ قـــصـــور العلمِ تســـألُهـــا

هل في خـــزائِنِهـــا من مـــجـــدِكم أثَـرُ

فـــردّدَتْ جنَبـــاتُ الـدارِ ملحـــمـــةً
منَ الخلـودِ رواهـا الـدهـرُ والبـــشَـــر
أنّى اتجـهْتَ، وجـدْتَ الضـادَ حـاضـرةً
كـأنَّ كلَّ رجـالِ الضـادِ قـد حَـضَـروا

***

أقـــبِلْ، فـــديتُكَ، فـــالأيامُ غـــادرةٌ
يومٌ عليكَ وَيومٌ فِـــيـــه تَنْتَـــصِـــرُ
إن غِـــبتَ عن قـــدَري دهـراً فـــإنّ له
يومـــاً يتـــوقُ، ويومـــاً فِـــيـــه ينْحـــسِـــر
مـــا العـــمُـــر إلا سُـــويعـــاتٌ لنا قَـــدَرٌ
وغـــيـــرُ ذلكَ وهَمٌ لِلْورى عَـــسِـــر
إنّا افـــتـــقـــدناكَ صـــدّاحـــاً تُؤانسُنا
وهل بِغـــيـــرِكَ يحْلو الشِّـــعْـــرُ والسّـــهَـــرُ

***

ليـــلايَ، يا قـــمـــراً حُلواً يطالِعنـي
طال المَقـامُ، أو اســتــشــرى بيَ الســفَـرُ
أيقظْتِ فـي النفسِ أحــلامــاً تؤرِّقُنـي
مــا كــان يجـدُرُ أن يغـتــالَهــا القَــدَرُ
مـــآثرٌ لِبـــلادي بتٌّ وا أَســـفـي
أنسـى هُداهـا وَلا قـــومي لـهـــا ثأَروا
يصـــونُهـا الغــربُ في أبهى مــتــاحِــفِــهِ
ونـحـنُ فـي الشـــرقِ لا دمْعٌ ولا عِـــبَــرُ

***

إليكِ، ليـــلايَ، أَرْوي اليـــومَ ملحـــمـــةً
غَــصَّتْ بهـــا كــتبُ التــاريخِ والسِّــيَــرُ
كـــــانتْ لَنـا دولـةٌ فـي أرض أنـدلـس
أرسـى قَــوَاعــدَها الفُــرســانُ إذ عَــبَــروا
مَـــراكِبُ المجـــدِ تـطوي الموجَ تملؤه
جنْدُ العــقــيــدةِ مـــا لانوا ولا صَــغُــروا

أوصـاهُمـو اللهُ في إعـجـازِ مُـحْكَمِـهِ

بالاعـتـصـامِ بِحَبْلِ اللهِ فـانتـصـروا

وشـادَ صـقـرُ قـريشٍ صَـرْحَ دَوْلتِـه

بالحـزْمِ والعـزْمِ لا ضَـعْفٌ ولا خَـوَرُ

تُبنى المـمـالكُ مِن أعلى منـاقـبِنا

عَـدْلٌ وحقٌّ وإحـسـانٌ ومُـقـتـدِرِ

شـمسُ الحـقـيـقـة في ليلِ الدُّجى سطعَتْ

والليلُ في الغَـرْبِ لا نَجْمٌ ولا سَـحَـرُ

في كلِّ صـوْبٍ يفـيضُ الشـعـرُ منْهـمِـراً

في كل نـاحـيـةٍ عِلْمٌ ومـبْـتـكَرُ

في كل ركنٍ حـديثٌ عن مـفـاخـرِنا

يَرويـهِ راويةٌ في الصـدقِ مـدّكـرُ

لا غـالبَ اليـومَ إلا اللهُ، رايتُـنا

بالحق تـعلـو، وبالإيمان تَنْتَـشِـرُ

***

يا أيهـــا الملِكُ المنكوُد مـــا فَـــعلَتْ

بكَ الليـــالي وكـــيفَ الدهـرُ يَغْـــتـــفِـــرُ؟

لو كـان قـبـرُكَ في الحـمـراء مـا سـقطَتْ

تـلـك القِـــــــلاعُ ولا أزْرَتْ بـكَ الـنُّـذُرُ

تـركتَ حِـصنكَ في الحـمـراءِ تَخْـذُلـهُ

وهِمْتَ وحـــدَكَ لا جندٌ ولا خَـــفَــــرُ

فـــررتَ تؤْثِرُ مَنْجـــاةً ملَطَّخـــةً

والنـاسُ في فـــزَعٍ سَكْرى ومـــا سَكِروا

وضـــاعَ فِـــردوْسُنا المخـــزونُ واتَّعظتْ

خـــلائقُ اللهِ بالتـــاريخِ واعـــتَـــبـــروا

إلا القـــيـــادات منا، أمـــرُهَا عـــجَبٌ

وهمُّـــهـــا الحكمُ لا تُبـــقـي ولا تَذَرُ

مـــا نفعُ دَمْـعِكَ في الهَـيـجـاءِ تذرِفُــه

والحَـــربُ ســـيفٌ وإيمانٌ ومنتـــصِـــرُ

***

في ذمَّـــةِ اللهِ أمٌّ عـــزَّ حكمـــتُـــهـــا
فـي الحـــالكاتِ وقـــالتْ وهْيَ تُـحـــتـضَـــرُ
اِذرفْ دمـــــــوعَك مــــــثلَ كل ذليلـةٍ
مُلكاً أضـــعتَ، بناهُ الصـــارمُ الذكَـــرُ

***

ليــــلايَ إنَّ فـــؤادي مُـــثـــقلٌ تَـعِـبٌ
مـــا عـــاد يؤْنسُـــــه إلفٌ ولا وَطَـرُ
تقـــادَمَ العـــمـــرُ مني وانطوى خـــجـــلا
وغـــابَ عنّي رفـــاقٌ في العـــلا غَـــبَـــروا
تشكو العـــروبةُ من خُـــذلان قـــادتِهـــا
ولـيس كـــــــالخُلْفِ داءٌ فـي الـدُّنـا خَطِرُ
شـــرُّ الأنامِ شـــعـــوبٌ ضلَّ قـــادتُهـــا
فـــاســتــسْلمـوا وتَسـاوى الأُسْـدُ والحُـمُـرُ

***

العاشقة

لَيْتَ شِعري ما دَهاها - عندما ضَجَّ صِباها
وأضاءت روضةَ الحيِّ زهوراً مُقْلتاها
وإذا مرَّت على دَرْبِ الهوَى غَنَّتْ خُطاها
هِيَ في القريةِ بُستانٌ يُرَوِّيهِ نَداها
وَهْيَ إنْ قامت فَصَدْرٌ ناهِدٌ ثَارَ وَتَاهَا
وَهْيَ في الروضِ جمالٌ وبهاءٌ يتَنَاهى
يَسْكَرُ الكُلُّ إذا ما ابتسمت فاحَ شَذَاها
كيفَ لا يشتاقُها العُشّاقُ من بَلَّ صَدَاها
لم تَلِدْ أُمٌّ بهذا الحسنِ في الكونِ سِواها

***

وَأتى الخُطَّابُ والكُلُّ صريعٌ بِهواها
يبذُلونَ الحُبَّ والمالَ وأرواحاً فِداها

علَّهــا تخـتـارُ مَن تَـرضـاهُ حُلمـاً لُمناها
وأبوها الشـيخُ يدعـو اللّهَ أن تَلْقى فَـتاها
ليـتَهـا تقـبلُ من يملأُ بالسَّـعـد حِـماها
قـبل أن تَبـرَحَـهُ الروحُ وتسـعَى في عُـلاها

***

شَـرَطَتْ هِندٌ على مَنْ رامَـهـا زوجـاً وَجَـاها
رأسَ جنِّي عظيمِ البطشِ في الغـارِ، اشـتـهـاها
وتمنَّاها قَـريناً وَحـبـيـبـاً وإلاها
هوَ من نارٍ، أليس النارُ خـداًّ وشِـفـاها؟
وهي من نورٍ، أليسَ الشـمسُ من صُـبحِ سَناها؟
واسـتـبـدَّت هِندُ في الرفضِ ولو حـانَ رَداها
فـاسـتـشـاطَ العـاشقُ الجنِّيُّ غَـيظاً وسَـفَـاها
وأتاها يقـذِفُ النارَ وبالشـرِّ رَمـاها

***

ورأى العـشـاقُ في الشـرطِ اقـتـراباً من رِضـاها
وغـداً، في ظلمـةِ الليلِ، إذا اشـتـدَّ دُجـاها

يُهْـرَعُ الكُلُّ إلى الغارِ امتثالاً لِرؤاها
إنَّ رأسَ الغُولِ مَهْرٌ مُسْتَحَقٌّ لِغَلاها
غَيْرَ أنَّ الجِنَّ تأبى أن يَرى الإنسُ حِماها
فأصابتهُمْ بصَخْرٍ ورَمَتْهُم بِلَظاها
فانْثنى كُلُّ عشيقٍ، خَشيةَ الجِنِّ وشاها

***

واحدٌ قد فاقَ في حكمتِهِ الكلَّ انتباها
أنكرَ الجِنَّ على الأرضِ وفي جوفِ ثَراها
ولقدْ آلى على النفسِ اختراقاً لأذاها
أوغَلَ المِقدامُ في الغارِ اقتحاماً فرآها
قامةً ممشُوقةَ القدِّ بغُنُجٍ تَتَباهى
فأحَاطَ الخَصْرَ بالسَّاعِدِ قَصْراً وطواها
فأطاعتْ ضَمَّةَ المِقدامِ تقبيلاً سَباها
وسَرَت هندُ إلى القريةِ يطويها فتاها
قِصَّةً قد نَسَجَتْها هِندٌ والنَّاسُ رواها

***

معزوفة على قيثارة الوطن

وَحَـلـمْـتُ بِـأَنـكَ يـا وَطَـنـي
بَطَلٌ في عُـرسِ الأزمـانِ
وبـأنَّـكَ أمٌ تَـحْـمِلُـنِي
طِفْـلاً في زورقِ ريحـانِ
وبـأنَّـك فـردوسٌ يَـزْهُـو
بِجَـمـالِ حِـمَـاكَ الثَّـقَـلانِ
تـزهـو وكـأنَّك في الـدنيـا
فَـيضٌ مِن نـورِ الرَّحْـمَـانِ
مـا أجْـمَـلَ أن يحـلُمَ طفلٌ
قـد عـاشَ أسـيـرَ الحِـرْمَـانِ

***

يا وطناً يعـــــرفــــه الماضــي

والحَـــاضِـــرُ طيُّ النســـيـــانِ

مـــا جِـــئْتُ أُقَـــرِّحُ لي جـــفناً

في غَـــيـــــهبِ ليلِ الوَسْنانِ

فـــالدمعُ تَحَـــجَّـــرَ في عـــيني

والحَـــرْفُ وليـــدُ الأحـــزانِ

إنْ جـــئتُ فَـــإنَّكَ تَبْـــغَـــضُني

أو غِـــبْتُ فـــإنَّك تهـــواني

***

أصـــــحـــــيحٌ أنك يا وطنـي

تَغْـــتـــالُ زهورَ البـــســـتـــانِ

وتُحـــيلُ السَّـــوْسنَ أشـــواكـــاً

والعـــقلَ عـــبـــادةَ أوثانِ

والماضـي قـــبـــراً نَلْعَنُـهُ

واليـــومَ هِراوةَ سَـــجَّـــانِ

***

أصحيحٌ أنك يا وطني

تُعطي وتجودُ وتَنساني

وأنا المذبوحُ أُحِلَّ دَمِي

وأنا المقتولُ بِنيراني

وأنا المصلوبُ بساحَتِنا

كمسيحٍ أَحمِلُ عيداني

***

يا زمناً أبْغَضَهُ قلبي

ما عادَ يُحرِّك وجداني

لا جُرحُ الشامِ يُؤرقُني

لا حرقُ الأرضِ بلبنانِ

لا أسمعُ للقدسِ نِداءً

يؤذي بالصرخة آذاني

لا أبصرُ طِفلاً في دربي

يطويه الجوعُ ببَغْدَانِ

فـــــــاللهُ تـخـلَّـى عـن قـلـبـي
وبصـــــــدري نَـزْغُ الشـــــيطانِ

***

يا رُبَّ إمـــامٍ مـــا اكــتــحلتْ
عـــيناه بسُـــورة قُـــرآنِ
وزعـيـمٍ يسـجـد في الأقـصى
ويُســـبِّح فـــيـــهـــا لدايانِ
ورئيسٍ قـــد أضـــحى صنَـمـــاً
نَعْـــبُـــدُهُ في هيكل هامـــانِ
وذئابٍ تنهشُ مُـــهْـــجَـــتنا
في غـــيـــبـــةِ راعٍ خَـــوَّانِ

***

وحَـلـمتُ بكوخٍ يُـدفـــــئـني
في قـــرٍّ شِـتـــاءٍ أدْمَـــاني
وبـقـلـبـي أنَّـاتٌ حَـــــرَّى
تشـــتـــاقُ لبـــعض التَّـــحنانِ

وحلمتُ بصـــــوتِك يا وطنـي

عَـــذْباً في حكمـــةِ لقـــمـــانِ

يعلو بالحق ويصْــــــدقـنـي

لا يُتـــقِنُ فنَّ البُـــهـــتـــانِ

***

وهَـجَـــــــرْتُكَ يا وطنـاً أهـوَى

علِّيَ أنسَـــاك بهـــجـــراني

وَعَـــــدَوْتُ أفـــتِّشُ عن وَطَـنٍ

يأويني فـــيـــه كـــإنســـانِ

وحَـــــمَلْتُ جـــوازاً يُنْكِرُهُ

مَنْ يُبْـــغِضُ لدغَ الثُّـــعـــبـــانِ

فـــحُـــرمِتُ من اسمٍ أحـــمِلُهُ

والحَـــرْفُ مِنِ اسْـــمِي أبكاني

عَـــــرَبِيٌّ تاهَ بـلا قَـــــبَسٍ

وَغَـــدَا مَـــجـــهُـــولَ العنوانِ

الفيلسوف الكفيف

1944

بمناسبة مرور ألف عام على وفاة المعرّي.

ذِكْـــرَياتٌ تَغْـــدو عليَّ وَتُمْـــسِي
تلهم النفس في الحـــيـــاة وتؤسي
لَيْـــتَـــهـــا لَمْ تَكُنْ خَـــيـــالَ زَمَـــانٍ
قـــدْ خَـــبـــا نورُهُ كَـــوَمْـــضَـــة أمْسِ

***

كنْتُ يوْمـــاً، وقـــد عَـــراني ضِـــيقٌ
أقطعُ الدربَ تائِهـــاً ضِـــمْنَ دَهْسِ
وكـــأنّي فَكَّرتُ في العُـــمْـــرِ حـــيْناً
أأَرَانِي أسطيع حَـــلا لِهَـــجْـــسِي
لَمْ تطُلْ حَـــيـــرَتِي، فَـــأَثْلَجَ صَـــدْرِي
منظرُ الشَّـــيخِ مِنْ ذَكـــاءٍ وَنَدْسِ

يَتَـــسَـــامَى مَعَ الـوَقـــار، ويَبْـــدو
فـيلسـوفـاً في شـعْـرِه، خَـيْـرَ نَطْسِ

***

قلتُ، مَـوْلاي! مـــا تَرى في حــيــاةٍ
مِلْـؤها اليـــأْسُ إنَّمــــا أيُّ يَأْسِ؟
تَتَـلاشى الأفْـراحُ فـيـهـا فـتـبـقى
حَـــسَـــراتٌ تُدْمي الفـؤادَ وَتُخْـسِي
قـال صـبـراً، أمَـا رأيتَ «جَـحـيـمي»
في «كـتـابي» حـيثُ التطيُّـرُ يُرْسِي
أرأيـتَ «الأمـينَ» إذْ كـــــانَ يَدنـو
بـافـتِـتـانٍ نَحْــوَ الـفَـخَـارِ الأَمَسِّ
فَـــتَــــهَـــادَى مَعَ النَّديم وَغَنَّتْ
بنتُ حُـسْنٍ أَنْغَـــامَ حُـــزْنٍ بِنَعْسِ
ذَكَــرَتْ «فِكرةَ التَّــحَــوُّلِ» شِـعـــراً
وانقـــلابَ السلطانِ في كلِّ حَـــرْسِ

قَـدْ سَـرى «مـبـدأُ التطيـرِ» فِـينا

فَــهَــوِيْنَـا مِنْ دارِ سَــعْــدٍ لِنَحْسِ

قلتُ قُلْ لـي مَـــوْلايَ: فـي أيِّ دِين

أمْ كـتــابٍ بل أيِّ عَــقْلٍ مُــحِسِّ

يُجْــعَلُ الأَكْلُ مِن «غــريض» ذبيح

إثمَ حـــرٍّ أوْ مِنْ فِـــعَــالِ الأَخَسِّ

ثُمَّ إنني يا شَــيْخُ حَــيْــرانُ مما

قـــدْ رَوَاهُ الـراوونَ مِـنْ كُلِّ جِنْسِ

جَــعَلوا منكَ مُلْحــداً قَــدْ تَرَدَّى

فِي مـهـاوي الإلحـادِ، بل شَـرُّ نُكْسِ

«جـاءَ عـيـسى، فـانْهَـارَ دِينُ لمُوسى»

وأتـى المـصطفـى الأمـينُ «بِخـــمْس»

يُصْـــبِحُ الفِكْر وَ«التـــشكّكُ» بـاد

فـــإذا أنـتَ «بـالتّنـاسُخِ» تُـمْـــسـي

قِـيْلَ بِالخـمْــرِ مُــعْــجَبٌ تَتَـمنّى

لَذةَ الشـــرْبِ في سُــوَيْعــاتِ خُلْسِ

وَتَرَى العَقْلَ لا يُقِرُّ هَوَاه

وَتَرى الدِّينَ يَزْدري كُلَّ رِجْسِ

***

أطرَقَ الشيخُ فَيْنَةً كانَ فيها

في اضطراب مِنَ التأثُّرِ يُنْسي

رَفَعَ الرأسَ حِينَ قال مُجيباً

بوَقارٍ، وفي الحديثِ تَأَسِّي

«أنا قد عِشْتُ في الهُموم غريقاً

فَحَياتِي ما بينَ حُزْنٍ وَتَعْسِ

أَصِلُ الليلَ بالنهارِ وأقضي

مُدةَ العُمْرِ في اختبارٍ وَدَرْسِ

قُمْ تأملْ مآتمَ الحزنِ يوماً

حينَ تَخبو الحياةُ في جِسم نَفْسِ

تلكَ حالُ الإنسانِ يخشى المنايا

ويراها هدَّامةً كُلَّ إنْسِ

***

ولَعـــمـــري إنّ الحــيـــاةَ ســـواءٌ

عند ربي مــا بين «وحْــشيٍّ وإنسـي»

إنَّ في قلبي الكبــيـــر لَعطفـــاً

يَذْرِفُ الدمعَ عندَ تَشْــويه عُنْسِ

***

وحــيــاةٌ أســاسُـهــا «الجَـبْـرُ» ظُلْمٌ

وافــتــراءٌ يُضني الجَـســومَ وَيغْـسِي

غَــيْــرَ أني والحــادثاتُ غــوادٍ

لَقَنوعٌ في مُنتــجــاتي وَغَــرْسِي

حَسْبيَ المبـدأُ الوحـيـدُ شـعـاراً:

«عِش فـريداً وارْفُض صـداقةَ عُـرْسِ»

***

ذكرى المولد النبوي الشريف

خَليليَّ مــا أجْـدى وَلا أَفْلحَ الصــبْــرُ
وَقَدْ طالَ بُعْدي اليومَ عنكُما والهَجْرُ
خَلِيلَـيّ والآلامُ أرْقَتْ مــــدامــــعي
ومــــوجُ الـرّزايا لا يَقَــــرّ لهُ أمْــــرُ
لَئِنْ كــانتِ الأيامُ مــرّتْ عليكُمــا
صَفاءً ورَغْداً، أوْ صَفَا مِنكما الفِكْرُ
وأرْخَتْ رِياضُ الشــامِ أبْهى ظِلالِهــا
وطابَ معَ الدنيـا لنَفْسَيْكُما العـمْـرُ
فـيـا روعـةَ الأحـلامِ في جنةِ الدّنيـا
ويا مِـتـعـةَ الأيامِ إذْ يضـحكُ الدهرُ
هنيـئـاً فـإني اليـومَ أحـيـا بصـفْحـةٍ
لذكْراكمـا والقلبُ من نشـرِها يسّرُوُ

وإنَّ بلادي شـــــامُكم، وشـــآمكم

بلادي، وإنْ حـالَ البُـعـادُ أوِ العُـسْـرُ

وكلُّ كـــريمٍ بالعـــروبةِ يهـــتـــدي

لخـيـرِ أخٍ أفْـديهِ إنْ هاجَـهُ الشَّـرُّ

خليليَّ لو شــاءَ الإلهُ وكنتـــمـــا

بمكّةَ عـــامَ الفـيلِ أَوْ كُــرِّرَ الدهرُ

لَرَاعَكُمـا - مـاذا أقُـول - كـبـائِرُ..

من الإثمِ ينْأى عن دُجَى ليلِهـا الحـرّ

لَرَاعكمـا - مـاذا أقـول - عـرائسُ

تَصـدَّى لأَهليهنَّ - عن غَفْلةٍ - فَقْرُ

فَـوَارَوْا بنـاتِ الحُـسنِ وَأْداً وغـيلةً

ألا تَبَّتِ الأيدي التي شـابَهـا الغَـدْرُ

***

لَرَاعكمـا - مـاذا أقـول - أَعَـاجمُ

منَ الرومِ في أرضِ الشـآمِ لهمْ أمـرُ

وللْعُلْجِ في أرضِ العــراقِ مــهَنَّدٌ
يُحكّم في أعناقِ مَنْ راعَــهم أَسْــرُ

***

لراعكمــا - مــاذا أقــول - جـحــافلٌ
كـأنَّ الفـيـافي حينَ حطَّتْ بهـا حَـشْـرُ
دَهَتْــهـا الليـالي الحـالكاتُ وأثْقَلَتْ
دُيونُ المُرابي عَيْشَهَا التَعسَ والخمرُ
فَــلاذَتْ بِذَرَّاتِ الرمــال من الطّوى
وهلْ تطعمُ البـيـداءُ، أوْ ينقِـذُ القَـفْـرُ
ورراحَ دعــاءُ القــومِ يعلو مُطالبــاً
إلَهَ السـمــاءِ بعــد أنْ رَدَّهُ الصَّـخْـرُ
يقـــولـون: يا ربّاهُ أنـتَ مــلاذُنا
فـأينَ الذي يأتي بإعـجـازِهِ اليُـسْـرُ
وأينَ الذي يسـطيعُ إنقـــاذَ أُمَّـــةٍ
وقد سادهَا الطغيانُ، واجتاحَها الفُجْرُ

فـيـا قـومُ طِيّـبـوا خـاطِراً قـدْ أتاكُـمـو

يَتـيـمُ الليـالي، ولْيَطِـبْ منكمُ الصّـدرُ

أتاكمْ رســولُ اللهِ بـالخـيــر والهــدى

وبالأمَلِ الشــافي إذا نَفِـدَ الصـــبــرُ

***

خليليّ جُــودا بالحـــديثِ عن الذي

تعــاليـمُـهُ جَلَّتْ، فليسَ لهــا حـصْـرُ

وجَــاءَتْ إلى الدنيــا بكلِّ فــضــيلةٍ

وصانَتْ حقوقَ الناسِ فاستُعذِبَ الأمرُ

ووحَّـــدَ دِينُ اللهِ أشــتـــاتَ أمـــةٍ

فـحـوَّطَهـا مـجـدٌ، وهَام بِهـا النصْـرُ

تعـالَـتْ تُريدُ الشـمسَ عِـزّاً ورِفْـعـةً

فـأَسْـعَـدَهَا الإيمانُ والحَـمْـد والشكْرُ

وَدَانَتْ لَهـا الدنيـا من الصِّينِ مـشْرِقـاً

وحـدّ نواحـيـهـا من المغـربِ البـحـرُ

وجـــاءتْ بعَـــدْلٍ هلْ تـريدونَ آيةً

ألا ليتَ آثارَ الجـدودِ لهـا ثَغْـرُ

وكـانتْ لَعـمـري أمـةً عـبـقـريةً

على هامِها العلياء، وفي صيدِها الفَخْرُ

وكـانَ شِـعـارُ القَـوْمِ في كلِّ لَحظةٍ

«لنَا الصـدرُ دونَ العـالَمِينَ أو القَـبْرُ»

طوى مـجـدُهَا - واحـسـرتاهُ - تَفَـرّقٌ

وهزَّ كِـيـانَ الحُكمِ في أرضِـهـا المَكْرُ

وَعَـاثَ بهـا الكفّـارُ غـدْراً وفِـتْنَةً

فيادهرُ ما أقساكَ؛ هلْ يحكُمُ الكُفْرُ؟

وباتَ نَعِـيبُ البـومِ يعْلو طلولَهـا

فـيبكي عليـهـا الدِينُ والعِلْم والشِّعـرُ

بَكيْتُ كـثيـراً حينَ شاهدتُ مَوطِني

جــمـيـلاً، ولكنْ لا أيادٍ ولا فِكْرُ

فَـوَاعَـجَـبي للمـجـدِ تدنو قطوفُـه

ويرفضُ هذا الخـيـرَ أقـواميَ الغُـرُّ

ولكنَّ لي من إخــوتي اليــومَ مــعــشــر

أَسـوْا جُـرحيَ الدّامي فَلَذَّ ليَ الجَـبْـرُ

تَنَـادَوْا إلـى عَـــزم الـعـــروبـةِ إنَّهمْ

إذا عَـقَـدُوا شـدُّوا، وإنْ عـاهَدُوا بَرُّوا

وَجَـاءوا بِمـا أَوْحَى إليـهم شَـبـابُهُمُ

فَـمَـا رَامَـهم ضَـعْفٌ، ولا هَـالَهُمْ ضُـرُّ

همُ اليـــومَ جُـنـدٌ للبـــلادِ وإنَّـهم

لكَي يظْفَـرَ القُوادُ مِنْ قَوْمِهِم جِـسْـرُ

يميناً لأَسْـعى مـا حَـيـيْتُ مُـجـاهداً

وإنّ يَمـــيني في عُـــلا أُمَّـــتي نَـذْرُ

***

مواكب الفجر

1944

اذْكُـــــــــري يــا بِـطــاحْ
واشْــهــدي يا ســمــاءْ
وابســـمِــي يا جـــراحْ
لانْبـــثـــاقِ الـرّجــاءْ

***

إنَّ فَـجْـرَ المَجـدِ قـدْ أقْـبَلَ يَخْـتـالُ ابتـسـامـا
وَتَـراءى الـنورُ للأَحــرارِ يَجْــتــاحُ الظـلامـا
وَهَفَـا قلْبي لِلُقْـيـاهُ حَـبـيـبـاً مُـسْـتـهـامـا
عَـجَـبــاً لِلنوْرِ يَبْــدو بعــدَمَـا كــان حــرامـا

***

امْـــــرحِـي يـا بـطـاحْ
وافْـــرَحِي يا سَــمـــاءْ

إنَّ بِيض الصِفاحْ
أَوْمضتْ عن سَناءْ
أيها الفجرُ وقد أيْقظتَ أحْلامي العِذابا
واسْتفاقتْ روحيَ السَّكْرى لمرآك احتِسابا
ما لِقلْبي الباسمِ الدّامع يهتزُّ اضطرابا..
أترى يا فجرُ ذكرى الليل ما انفكَّتْ عذابا
أسْعفي يا بطاحْ
وانطقي يا سماء
قَدْ شَجاني النُواحْ
واستبدّ البُكاء
رُبَّ ليلٍ فيه أطيافُ الكَرى زارتْ جُفونَهْ
وأوى الكونُ وقد أسلمَ للنور شجونَه
وهُنا يا فجرُ ذاكَ الليثُ لم يَبْرَحْ عَرينه
وطّد العزمَ على الهَيْجاءِ أو يَلقى مَنُونه

***

فـــاسْـــعَـــدي يا بِـطاحْ
واهتِـــفـي يا ســـمـــاء
وانـتـظـرْ يـا صَـــبـــاحْ
الـلـقـــاءَ الـلـقـــاءْ

***

وإذا مــا حــاجِبُ الشــمسِ تعــالى عَـسْـجَـديَا
صَــوَّبَ الثــائرُ نحــو البِـيــدِ سِــحــراً أبديّا
لَم يبــالِ الموتَ خَـــتَـــالا ولـم يَخْشَ القـــويا
كلُّ مــــا يدركُ من دنيــاهُ أن يحـــيـــا أبيّـــا

***

ردِّدِي يـــا بِـــطـــاح
وانشـــدي يا ســـمـــاء
إنّ لـيـثَ الــرمـــــاح
لا يـهــــــابُ الـفَـنـاء

***

وَدَّعَ الفـــارسُ أطفـــالاً صِـــغـــاراً كـــالـلآلي
واحـــتـوى بين ذراعَـيْـه حـبـيـبـاً غـيـر سـالِ
لمْ تشـأْ أن تُثني الفـارسَ عن فـخـر النضـالِ
فـاسْـتـدارتْ - بَعـدَ تَقْـبـيلٍ وَلَثْمٍ - بانْفـعـالِ

***

افـــخـــري يا بِطاحْ
واذكُـــري يا سَـــمـــاءْ
أنَّ وَحْـي الـكـفـــاحْ
فـي حَنايـا الـنِّسـاءْ

***

رفـع الـثـــائـرُ أعـــلامَ الـوَغَـى رفـعَ الأُبـاةِ
وامـتَطى الصَّـهـوة مُنقـضّـاً كَـرَجْم الصَّـاعـقـاتِ
أيُّ مَـعْنى لبـقـائي أيُّ مـعنى لحـيـاتي
لا رَعى اللهُ ذَلِيـــلاً يَـرْتَـضـي حُـكْـمَ الـطُـغـاةِ

***

زَلْزِلي يا بطاحْ

واقصِفي يا سَماءْ

واعصِفي يا رياحْ

حانَ وقتُ الفداءْ

يا لَهذا اليومِ ما أَرْوَعَهُ حِين تَلاقى

زاخرٌ من قوة الغربيِّ يشتدُّ اندفاقا

بقليلٍ من أسُودٍ عانَقوا الموتَ اشتياقا

ليس كالليِّبي مَنْ يَفْهَمُ في الحرب الرِقاقا

***

مجِّدي يا بِطاحْ

واسْردِي يا سماءْ

إن ربَّ السِلاح

ماتَ رمزَ المَضاء

رَجَعَ الحادي وفي تَرْدِيدِهِ رَمْزُ البطوله

عادَ أَمْضى من حُسام، بعدما أروى غليلَه

واحـــتــفى فِي مــوكبِ الموت بتــشْــيــيع الرُجــوله
حَـــسْـــبُـــهـــا فـــوزٌ تَنَاهـى، خَلَّد التـــاريخُ جـــيلَه

***

يـا زُهـورَ الـصــــــبـــــاح
يـا حـنـانَ الـســــمـــــاء
قَـلِّـدَاهُ الـوِشـــــــــاحْ
فـــــوقَ رَمْسِ الـوفـــــاء

***

أشقى امرأة!!

وصف لحالة المرأة الليبية

يا خيمةً منقَّلة
من كل حقٍّ مُهمَلةْ
تسعى وفي طَيّاتها
شمسٌ توارتْ مُجفلةْ
مَنَعوا عليها بسمةً
تحيا بِها مفضَّلةْ
في أي شرعٍ صالحٍ
بل أيُّ آيٍ مُنزَلةْ
يقضي عليها في ظلامٍ
أن تعيشَ مكبَّلةْ

***

أرأيتَــهــا في مَــشــيــهــا

«يـجـــردهـا» مـــســـربَلَةً

عــضَّت بســاقــيْـهَـا قــيــو

دَ.. الـرّقـــعـــةِ.. المشكلَةْ

كـــأنَّمـــا هِيَ نـاقـــةٌ

عُـــقِلَتْ بأثـقـلِ سلسلةْ

فـــمـــشـتْ تـئنُّ علـى خـطـى

كـلـيـلـةٍ مُـــقَـلْـقَـلَـةْ

رضــيــعُــهــا فـي ظهــرِهـا

شـيءٌ يـعـــانـي المُعـــضِلَةْ

أخـــفَتْ في طَيـــاتِ «جُـــر

دٍ»[1] خـــانقٍ كـي تـقـــتلَهْ

تمضـي كــمـــا يمضـي الرقــيقُ

بـحـــــالـة مُـــهـلهَلَة

---

(1) الجـرد: لباس كانت تلتحف به المرأة الليبيَّة عند خروجها لتخفي به جسدها.

أو مــــا تُبــــاعُ وتـشــــتــــرى

فـي ســــــوق رِقٍّ مُــــــوحِلة

أو مــــا تســـــاقُ إلـى فــــتـى

شــــــاءوا لَهــــــا أن تجــــهلَه

لتكونَ تحـــــفــــةً بيــــتــــه

أو مُـــــتْـــــعــــــةً مكمِّلَه

أو مـــــصــنفــــاً يأتـي بنَـدْ

مــــان فــيَــــمْــــلأ منزلَهْ

***

أشْـهـدتهـا فـي مـوكبِ الأحـزان

تمـضـي مُــــــعــــــوِلَةْ

لـم يكفِـــهــــا شقُّ الثـــيــــا

بِ ولا عــــظــيــمُ الــوَلْــوَلَــةْ

كــــأنـهــــا عــــفــــريـتـــةٌ

مَــــدْبـرةٌ ومُــــــقــــبـلةْ

فـــأســـرعتْ تقْـــســـو على

صندوقـــــهـــــا مطبِّلَةْ

أليس في ضــجــيــجــهــا

يعلُو الفـــقـــيـــدُ منزلةْ

***

مـــا كـــان أشـــقى أمّـــةً

عـــرجـــاءَ تخـــبطُ مـــثـــقَلَةْ

شـــلاء ترسُفُ في قُـــيـــو

دٍ بـاليـــاتٍ مُـــخْـــجَلَةْ

كـــفَـــرتْ بتـــهـــذيبِ الفـــتـــا

ةِ وأســـــرفَتْ في المَهـــزلَةْ

فـــســـعَتْ تروم حـــضـــارةً

لبـــلادها مُـــســـتـــقـــبَلةْ

وتُعِـــدُّ جِـــيـــلاً في الجـــهـــا

لَـة لا يُســـاوي خَـــردَلَةْ

***

كاهــن الليل

مـــا لـي وَمَـــا لِلَيْلٍ قَــدْ وَقَــدا
في لَهــفــةٍ أَلْقــاهُ مُــفْــتَــقَــدا
النـاسُ يَسـتَــهْــدونَ فــجْــرَهـمُ
وأنـا الـذي يجـــدُ الـظـلامَ هُـدى
عَــجَـبــاً لِقَلْبي كــيفَ يؤْلِمــه
وضَحُ النهــارِ فــيلتـوي كَـمَـدا
يخــــشى الأنـامَ ولا يطيقُ لـهمْ
قــرْباً فَـــيَلْقى مِنْهمُ الكَمَـــدا
وَيْحي أيقْـضي العـمـرَ مكتـئِـبـاً
مــتـبـتِّــلاً في عَــيْــشِــه وَجْــدا
هـل كــــانَ قلبـي هـكذا وجِـــلا
من عَـــالَم الأضْـــواء مُــــذْ وُلِدَا

أم كـــانَ بين الناسِ أمْنَهـــمُـــو

لا يعـــرفُ الآلامَ والسّـــهـــدا

***

يَا لَيــتَــه لمّا سَــرى غَــسَــقــاً

لـمْ يلـقَ بـدراً فـي دُجـــــاه بَـدَا

أو ليـــتَـــهُ كـــان الأصَمَّ فلمْ

يســـمعْ وَغَنَّى بالهـــوى وَشَـــدَا

أوْ ليـــتَـــهُ فَـــقَـــدَ البــيــانَ فلَمْ

يَنْطِقْ فَــيَـــعْكِسْ لِلنّداءَ صَـــدى

لكنَّ ليـــتـــاً غَـــيْـــرُ مُــجــديةٍ

قلبـــيْنِ في ظلِّ الهَـــوَى سَـــعِـــدا

رَشَـــفَـــا كـــؤوسَ الحُب مـــتـــرَعَـــةً

وتَعَـــاهدا، وعلى الوفَـــا عَـــقَـــدا

لا عـينَ لـلـواشـِينَ تَـرْقُـــــبـنـا

والعـــاذِلِ المـــقـــوتُ قَـــدْ هَـمَـــدا

لمْ يُبْــقِنا الحبُّ البــريءُ سِــوى

رُوْحينِ في الأجــواءِ قــد صَـعِــدا

مُــتــعــانِقــيْنِ فــمــا تُحسُّ لنا

شـيــئـاً يُسـمَّى في الثَّرى جَـسَـدا

***

حــتى إذا أسْــرى الغَــرامُ بنا

نحــوَ السّــمــاكِ تَألَّقتْ وَجــدا

وســعَى إليَّ الحبُّ مــتّــئــداً

كـــيْـــمَـــا يمدَّ إلى يديَّ يدا

بـوركَـتْ فـــاتِـنـةُ القُـلـوب ومَـنْ

في الحبّ أضْحى الشـاعـر الفَـردا

كُــوْنا لِهــذا الكونِ مــعــجــزةً

في الطُّهـر والإخـلاصِ مُـذْ وُجِـدا

مــا ضَــرّ أهلَ الأرضِ لَوْ جَــعلوا

وثنـاً على شَــرْعِ الهَــوى عُــبْــدا

***

وَيحٌ لِذَاكَ الفَـجْـرِ يَفْـجـؤنا
بغَـوائلِ الأنْوارِ مُـضْطَّهَـداً
فَـيَـضُـمّنا حـزنٌ يُخَـفِّـفُـهُ
أَمَـلُ المُحِبِّ بِوَصْلِهِ وَعْـدا

***

ويْلاهُ قـد عَـصَفَ النهـارُ بنا
فـتَـحطّمَتْ أحـلامُنا بَدَدَا
راشَ العـذولُ سِهـامَـه حَسَـداً
فـرمَى بِهـا وأصـابنِي الكَبِـدا
وقـضَى عليـهـا الذُّلُّ في قَـفَصٍ
كَـيْـمـا تعـيشَ بِذُلّهـا الأمَـدَا
اللّهُ لـلـروحِ الـتـي أَلِـفَـتْ
حُـرّيةً أنْ ترتضي الصَّـفَـدا
فَـتَـخَـيَّـرَتْ عَـصْفَ المَنُونِ لَهـا
بشـجَـاعـةٍ ضـاهَتْ بِهـا الجَلَدَا

مـــا أنبلَ الثَـــمَنَ الذي دفـــعَتْ

في الحبِّ تمنحـــهُ الحـــيـــاةَ فِـــدَا

***

يا لَيلُ يا دُنيـــا الســـــلامُ على

قلبٍ كـــســـيـــرٍ باتَ مُنْفَـــرِدا

كم جـــاءَ يســـألُ أَنْجُـــمـــاً سطعتْ

عـنْ إلـفِـــــهِ هـلْ بَـيْـنَـهـنّ بَـدَا

مـــا أعــذبَ الآمـــالَ يرقُـــبـــهـــا

روحـــانُ في جـــوٍّ الصّـــفَـــا رَشَـــدَا

يا لـيلُ في دنيـــاكَ مـــتَّـــسَـــعٌ

للروح تمنحُـــــه الـهـــــوى أَبَـدَا

فـــابقَ لأُنسِ الخـــافِـــقَـــيْـنِ منـىً

لا ينتـــهي، أو فـــامْضِ مُـــتَّـــئِـدا

***

صرخة المجد

1952

العـيـدُ أَقـبل ضـاحكاً مـسـتـبـشـراً
فـتـعـالَ يا قلبي وكُنْ لي مُـخـبِـرا

***

أأراكَ فـي يومِ الـرخـاءِ حـزيـنـا..
يـبكي شـغـافُكَ حَـسْـرةً وأَنـيـنـا
قـد كنتَ تَشكو في البُـعـاد حَنينا
ونَـقـولُ آهِ لَـوْ أُمـتـعَ حِـيـنـا
بـالأهـلِ أَودَعَـهـم هـوايَ ثـمـيـنـا
والآنَ حـقَّـقَ ذا الـزمـانُ ظُـنـونـا
فَـلأنتَ أَجْـدَرُ مـا تكونُ بِمـا جـرى
رُوحـاً يـسـبِّـحُ لِـلإلهِ مُـكَـبِّـرا

***

فـأجـابَ حـقـاً مـا تقـول فـمـا أنا
ناس لـربـي مـا أتـى بـه مُـحـسِنا
لـكنْ أرى عـهـداً تـألَّقَ كـالسَّنَا
وأرى ذُرى المجـدِ الـرفـيـعِ أمـامَنا
وأخـافُ إفـلاتَ الـزمـانِ وقـدرَنا
مـا قَـدْ هـدرْنا في حِـمـاهُ دمـاءَنا
هيّـا اسـتـفِقْ يا صـاحِ واهتُفْ بِالورى
قـد آنَ أنْ تحـيـا وأنْ تتـحـررا

***

قـلْ لـلشـيـوخ وهُـمْ هُـدَانـا الـنَّـيّـرُ
ومُـسـيـلُ أسـبَـابِ الـرشـادِ الأكـبـرُ
قُـل لـلشـبـابِ ذَوَي المـروءَةِ ثـابـروا
قـل لـلجـمـيـعِ تـآلَـفـوا وتـآزروا
هـذا أوَانُ الـشّـدِّ هـيـا شـمِّـروا
يـا قـومُ عن سـاقِ الـعـزيـمـةِ واصـبِـروا

العـــيشُ يدرِكـــهُ شـــجـــاعٌ قَـــدْ جـــرى
خلفَ الأمـــاني لا يرومُ القَـــهْـــقَـــرى

***

العـــصـــرُ عـــصـــرُ الاعـــتـــمـــادِ على النّفـــوس
ويُلٌ لِمـنْ طلـبَ الســـــعـــــادَةَ فـي الجُلـوس
أو بـاتَ يـرجـــــــو عِـــــــزّهُ بـيـنِ الـكـؤوس
لا والـــذي أبـكِـــي ولـــقَّـــنَـــنـــا الـــدروس
لا شـيءَ يعطى قـــــبـل حــــرب ضَـــــروس
والصـــبحُ يحلُو بعـــــدَ إظلامٍ عَـــبـــوس
قـــدْ فـــازَ مَنْ عَـــرَفَ الحـــيـــاةَ وشـــمّـــرا
وجَنى من العـــيشِ الجـــهـــيـــدِ المُثْـــمِـــرا

***

يـا ربُّ هـذي لـيـــــبـــــيـــــا الـيـــــومَ تُـريـدْ
أنْ تســـتـــجـــيـبَ لصـــرخَـــة المجـــدِ التليـــدْ
بالعِلم بالإخـــلاصِ بـالعـــمـلِ الرشـــيـــدْ

وتـريدُ حُكْمــاً عـــادلاً فِــيــهـــا يســـودْ
دســــتـــورُهُ، أنْ لا حـــمـــايَة، لا قـــيـــودْ
وهـنـاكَ تُـدركُ أنهـــا فـي أي عـــيـــــدْ
يا ربّ حــــقِّقْ مـــا تريـدُ ومـــا تـرى
حــقــاً يصــانُ، وكــان صَــعْبَ المشْــتَــرى

***

العـــيــــدُ أقـــبَلَ ضـــاحكاً مـــتـــهلِّلا
وأتـى بتــــهنئـــةِ الســـلامِ مُــحـــمَّـــلا
واليـــومَ ودَّع مـــوطنـي عـــهــــداً خـــلا
وتـنـفَّسَ الصُّـــعـــــداءَ مـــــا بـينَ المَـلا
وأتـى البـــشـــيــرُ فـــهنَّأ المســـتـــقـــبَـــلا
بحـــيـــاة أحـــرارِ العـــزيمةِ والعُـــلا
يا عـــيــدُ مـــا ملكَ الســـلام الأنـورَا
لا زلتَ في ظلِّ الوجـــودِ مُـــخـــبِــرا

***

رثاء عمر فائق شنيب

1953

أيّتهـــا الـروحُ عَـــبْـــرَ الخلودِ

وفـي كـل قلـبٍ ركــــــــزْتِ الأثـرْ

تعـودين فَــرحَى بلُقّــيـا الأحــبَّــةِ

منْ بعــدِ أنْ جــدّ فــيكِ السَّــفَـرْ

ومــــا كنتِ ممَّن نســـوا أمّـــةً

وتَاهُـوا بِدنيـــا الهَـــوى والـوَطَرْ

ومــا كنتِ تبــغِينَ سَـــقْطَ المَتـــاعِ

وذُلَّ الحـــيـــاةِ وســـوءَ المَقَـــرْ

ألا إنّ نَفْسَ القـــويّ الشـــجـــاعِ

تـرومُ العُـــلا مَـــا تحـــدّى القَـــدَرْ

فيا روحُ طِيبي بِدارِ الخلودِ
وأنعِمْ بِهَا غايةً يا عُمَرْ

***

أأبكيَ وما جئتُ أبكي هنا
ولكنّها ذكرياتٌ تَمُرّ
أأبكي وَلَمْ تبقَ لي دمعةٌ
لأَسْلُو بِهَا عادياتِ الغِيَرْ
أأبكي وقد كنتَ لي قدوةً
تُراعُ لدمعي إذا ما طَفَرْ
أأبكيكَ عمّا، أباً، قطعةً
من الروحِ سُلَّتْ بسهمٍ غَدَرْ
أأبكيكَ للزَّوجِ في فرقةٍ
وللوُلْد في لاهياتِ الصِّغَرْ

***

أأذكرُ يا روحُ كم صيحةٍ
من القلبِ دَوَّتْ كعَصْفٍ زَأَرْ

وَكَمْ في دِمـــشْق وأَحـــيــــائهـــا
وقــفتَ فــألهــبْتَ حــتى الحَــجَــرْ
تــنــادي بــنــي يَـعْـــــــرُبٍ إنــنـا
إلـيكمْ ومنْكم فـــــذُودوا الخَـطَـرْ
بلادي بلاديَ كـــيفَ الســـبـــيلُ
إليـــهـــا وفـــيـهـــا طُغَـــامُ البَـشَـرْ
ألا ليـــتني مُتُّ في أرضــــهـــا
ولاقَـــيْتُ ربّـيَ قـــبلَ السَّـــفَـــرْ
يميناً، ليـــخـــرجُ منهـــا الطغـــاةُ
وفـــينا بقـــيـــةُ شَـــعْبٍ أغَـــرّ
وجـــرَّدتَ سَـــيْـــفَكَ من غِـــمْـــدِهِ
ولم تَخْشَ في الحقِّ لومـــاً وضُـــرّ
فـأَجـفـاكَ بُعـدٌ، وأفـرى الحَـشـا
معَ البُـــعـــدِ جَـــزَعٌ وَحَـــرٌّ وَقَـــرْ
فـــمـــا أوهنَتْ منكَ عـــزمـــاً ولمْ
تزدْكَ سِـــوى همـــةٍ كـــالشَّـــرَرْ

ستذكرُ – سكْسيسُ – كم غضبةٍ
لحقٍّ سليبٍ وشعبٍ نُثِرْ
تهزُّ الضمائِرَ بينَ الشعوبَ
وتَأْبَى لأرضكَ أنْ تَنْدَثِرْ
وقارَعْتَ بالحقِّ ما يبتغون
فباءوا بخزيٍ ونِلتَ الظَّفَرْ
وَقرَّتْ بفوزكَ عينُ المليكِ
وطابتْ بِعهدكَ رُوحُ عُمَرْ

***

أغسطسُ ويحَكَ ماذا جنَيْتَ
أترْمي فَتَاكَ الوفيَّ الأَغَرّ
ألم يكُ جنديَّكَ المفتدي
بحرِّ الدماءِ ودُرّ الفِكَرْ
ألم يكُ يحملُ في كفِّه
فؤاداً لِيدرأَ عَنْكَ الخَطَرْ

ألم يكُ يهـــتــزُّ من فـــرحـــةٍ

إذا مــا ســعــيْتَ بعــيــدٍ عَطِرْ

أغُــــسطسُ لو كنتَ تدري الـذي

رُزئنـا بـِه لاتَّخـــــذتَ الحــــذَرْ

ولكنْ أردْتَ الـفــتَى مُـــؤنِسـاً

لِتــبْــقى وإياهُ مَــرَّ العُــصُــرْ

***

لَعــمــريَ مــا كــانَ أقْـسى المَنون

وفي قـبـضـتـيْـهـا مـصيـرُ العُـمُـرْ

أليسَ حــرَامـــاً ظلامُ النفـــوس

وقـد غـابَ عنْهـا شُــعـاعُ القَـمـر

أتغــــمَضُ عـــيناه بعْــــدَ الذي

رآهُ مِن النُّور وقتَ الســَّــحَــــر

أيصــــمتُ من كـــانَ في كل نادٍ

لســـاناً مع الحقِّ أوْ يَنتَـــصِـــر

أيُخــمَــدُ من كــانَ خــفَّــاقــهُ
يـدُقُّ فنـســـــمعُ صـــــوتَ النـذُر

***

عـــــزاءً فـــــأنتَ الـذي لـم تغِـبْ
بـرَغـمِ المنونِ، وصـــخْـــرِ الحُـــفَـــر
ويكفـــــيكَ شـــعبٌ بكى فـــردَه
وطـافتْ بِذكـــراك أَرْبى السِّـــيَـــرْ
وكُــــــــفِّـنـتَ ثـوبـاً وأنـتَ الـذي
بـقـلـبكَ فـــــــدّيـتَ عِـنـدَ الخَـطَـر
ســـلامٌ عليكَ فـــهـــذي الجـــمـــوعُ
تـدفّق والـدمعُ يُخـــفـي البَـــصَـــر
وفـــاءً لـذكـــراكَ قـــد أقـــبلَتْ
تحـــيّـــيك مِنْ قلبـــهـــا يا عُـــمَـــر

***

في رثاء المرحوم الأسطى عمر

1951

أُسـائل ليلي فَـمـا يسـتـجـيبْ
لِغـيـرِ البكاءِ وَطولِ النَّحـيبْ
فـأشكو إليـهِ غـروبَ المُنَى
ويـشـكـو إلـيّ الـظـلامَ المُـريـبْ
ومـا هُو ليلي الذي أبتـغي
فـقـدْ غـابَ عنّهُ الشّـهـابُ الحـبِيبْ
فـيـمـضي وئيـداً حليفَ الدُّجى
كـفـيفَ العـيـونِ أسـيـرَ الخُطوبْ
وقَـدْ نَهْنَهَ الثِّـقلُ من نفـسـه
كـمـا هدَّ قلبيَ عَـصْفُ الوَجـيبْ
صـريعـانِ في الدهْر لا نَرتجي
حـيـاةً سـوى أنْ يحينَ الغُـروبْ

ويا ليلُ ماذا دهاكَ وما
للّيلِ الهدى يختفي بالمَغيبْ
«أيا ليلُ ما كَانَ رفقاً بنا»
وعدلاً حياة الشّهاب السليبْ
أما كانَ يا ليلُ كفراً أتى
به الدهرُ لمّا استردَّ الوهيّبْ
أَمَا كانَ مَعقدَ آمالِنا
وكان المربي، وكانَ النّقيبْ
وكانَ الشّفاءَ لآلامِنا
فأين العِلاجُ، وأينَ الطبيبْ
عجيبٌ أُفُولكَ يا كوكباً...
وقد كنتَ في وقْدةٍ كاللّهيبْ
تُنير العقولَ، وتَهدي الضّلولَ
وترجو السبيلَ السويَّ القريبْ
تُحلّقُ فوقَ السِّماك العُلا
وبينَ الملائِكِ روحاً تَجوبْ

تبـــشّـــرُ طوْراً بخـــيـــرٍ لنا
وتُـنــذرِ طـوراً بمــا لا يَـطـيـبْ
تلينُ لِمــســتــضْــعَفٍ بائسٍ
ومــا كــان أقْـســاكَ وقتَ الحـرُوبْ
أبيْتَ القـــيــودَ فـحطّمــتَــهـــا
فكنتَ الجَــسُــورَ الذي لا يخِــيبْ
وقـــدّمتَ نفَــســكَ فـي فــديةِ
مـجـد السـيـوفِ ولَدْغِ «الضُــروبْ»
وأعليتَ صَــرحــاً لنا شـــاهقـــاً
وظلّلتَــهُ بالشــعــورِ الخَــصــيْبْ
فَــمَنْ لِلقـــوافي يُرى راعـــيـــاً
وينْشـــرُ فـــيــهـــا عطوراً وَطِيبْ
ومَـــن لــلـــنـوادي يـــرى هــاديــاً
يفَــجِّــر نبع الشــبــابِ الصَّـبـيـبْ

***

عــجــيبٌ أفــولُكَ يا كــوكــبــاً
ولمْ أدرِ أنَّكَ حـــقـــاً تغِــيبْ
وتتـــــركُ في الأرضِ هـذا الوَرى
يتــيــمــاً فــلا من حَنانٍ يُصــيبْ
وتـتـــــركُ فـي الـكون أرواحَنَـا
تهـيمُ فـتَـخـبط خَـبْطَ الغــريبْ
وتتـــركُ هـذا الشــبـــابَ فـــلا
صــــديقَ يـخـــفِّفُ عنهُ الكُروبْ
هُـنا ثـاكلٌ غصَّ في دمــــعــــه
وأمٌّ هـنـاكَ تـشـقُّ الجُــيـــــوبْ
وهــــذا أخٌ جُـــنَّ لمَّـــا رأى
أخــــاهُ، يـنادي ولا مَنْ يُجـــيـبْ
وهـذا فـــتًى كـــانَ في أمـــســه
يؤمِّلُ هدى الحــصــيفِ المُصــيبْ
هـوى النجمُ يا ليلُ من عــرشِــه
وقـد عـاشُ فـيكَ الشـهـابُ «القـريبْ»

هــوى الــنــجــمُ يــا لــيــلُ لمــا رأى
حــيــاةَ الورى أثقَلتْــهــا الذُّنوبْ
فـــــآثرَ قــــــريباً إلـى ربِّـه
فــأَنْعِمْ بقُــربِ العلّي الحــســيبْ

***

قَــضـى اللهُ يا نجمُ أنْ تخــتــفي
عنِ العينِ، لا عَنْ صــمــيمِ القُلوبْ
فـــقـــد تُحــرَمُ العينُ من نورها
ويـومِضُ قلبٌ بنورٍ عَــجــيبْ
لـك الخلدُ يا نجمُ فـــانِعمْ به
فلسْنَا عن العــهــدِ يومــاً نئـوبْ

***

تحية الأخوة العربية

1952

«ليبيا الحرة تحيّي أخواتها العربيات»

يا بَني يَعْــرُبَ قَــدْ حطّمْتُ أَغْــلالي وقَــيْــدِي
وصــرَعْتُ البــاطِلَ البــاغِي بإيمانِي وجُــهــدِي
ومــلأْتُ الأرضَ مِن أشْــلاءِ شــعب مــســتــبـــدٌ
خــالَني في الشــرقِ، فــردوســاً بِلاَ أَهْلٍ وجُنْدِ
وَسَــــعــى يزْهـو بِنـار وبـغَـــــدْر كلُّ وَغْــــدِ

***

ونـفَـى عنـه الصَّــــفـــــارا
حــــينـمـــا شـــعْــــبي ثـارا

***

يا بني يَعْــرُبَ مِنْ تاريخِكمْ سِــفْــر حــيــاتي
مِنه آسى في نِضــالٍ زاخِــرٍ بالتــضــحــيــاتِ

منّه يومِي في إبائي وَمَضائِي وشباتِي

منه آمالُ غدٍ يجمعُنا رَغْمَ العداةِ

عدَّةٌ للحقّ للإيمان تُرْدِي كلَّ عَاتِ

أمّة تستلْهمُ الماضي لتبني كلَّ آتِ

وتُحيلُ العَزْمَ نارا

كَي تنالَ اليومَ ثارا

أَنا ما عِشْتُ سَأَحيا لَكُمُو نِعْمَ الوفيَّهْ

أنتمُ مِنّي وإنّي لكُمُ دارٌ أبيّهْ

غايَتي مَجْدٌ وتحْريرٌ لأرضي العربيَّهْ

مَا وفائي وفلسطينُ عَلى الذُّل شقِيهْ

ما حياتي، إن يكُ «المغربُ» لِلْغرب سَبيَّهْ

مَنْ أنا إن لم تكنْ «يَعْرُبُ» في الكون قَويَّهْ

أنا مَنْ يحمي الذِّمارا

وَيَرى في الصمتِ عَارا

***

موظف ومعاش

1949

أيَّ مَـــخْلوقٍ تُـرى غَـــيَّـــبَـــهُ

دَهْرُهُ مـــا بَينَ طَيّـــاتِ العـــدَمْ

تـائهـــاً يَمْـــشِي وَفـي أَعْـــيُنِـه

حَـــيْـــرةُ الدنْيـــا وآياتُ السَّـــقَمْ

إنّـه لـولا رَجـــــاءٌ واحـــــدٌ

أوْجَبَ البُشْـرى، كمـا الثّغْـرُ ابتـسمْ

آخِـــرُ الشـــهـــرِ أَتَى يا حظّهُ

فَـــقَـــريبـــاً فَـــرَجُ اللهِ يَعُمْ

وَسَـــيـــسْـــعى نَحـــوَهُ راتبُـــه

يَغْـــمُـــر الجَـــيْبَ ويأتي بالنّعَمْ

***

وَقَفَ النشـــوانُ مِنْ فَـــرْحَـــتِـــهِ

يَرْقُبُ الـصّـــرافَ في شـــوْقٍ أَتَمْ

وتدورُ الـعَـــيْنُ في مِـــحْـــجَـــرِها

كُلَّمـــا دارَ الجِنيـــهُ المحـــتـــرَمْ

أقـــبلَ الدَّورُ فـــهـــيّـــا صـــاحـــبي

وامـــــدُدِ الكفَّ بِشـــــوْقٍ وَنَهَمْ

ليتَ شـــعْـــري مـــا لصـــرّافي غَـــدَا

بِلقـــائي فَـــاتِراً لَمْ يَحْـــتَـــشِمْ

أَوَ لَمْ يَدْرِ بـأَنّـي مُـــــــــفْـلِسٌ

يـتـنـزّى بـاحـــــــتـــــــراقٍ وَأَلَمْ

أمْ تُرى أَني فـــقـــيـــهٌ.. وكَـــفـى

والفـقـيـهُ اليـومَ شيءٌ كَـالصَّنَمِ

***

قـــالَ يا صـــاحبُ تـأتينا غـــداً

فـــتُـــوفَّى الحقَّ لا تخشَ السّـــأَم

وَ«غَـداً» في عُـرفِـه بعـدَ غـدٍ

ثـم أيـامٍ بـأَحْـزَانٍ وَغَـمْ

***

رَجَـعَ المسكـينُ ذيـلُـهُ

يَـتـلّـوى بـأنـينٍ مُـنْـكَـتِـمْ

وبدا يُحـصِي الثّـواني يا لهـا

مـن دهـورٍ كـالظَّـلامِ المُـدَلـهِمْ

أقـبلَ اليـومُ فَـهـيّـا صـاحـبي

وامـدُدِ الكـفَّ وَوَقِّـعْ بِـالـقَـلمْ

واحـترسْ مِن نَشل مـا جـئتَ لَهُ

وَحَـوالـيّـكَ مِـنَ الـنـاس أُمَـمْ

***

أيّهـا المسكينُ لا تَـرْجُ الـغِـنـي

إنـه فـاكـهـةٌ لا تَنْهَـضِمْ

فـانْثُـرِ القِـرشَ لجـزَّارٍ سَـعى

وَاقْضِ لِلْخـضَّـارِ دَيْـناً وَذِمَـمْ

وانْفُضِ الكفّينِ واستلقِ على

قشِّكَ الدافيءِ، واستغْفِرِ، ونَم

***

نحن أحرار الوطن

1949

مَــرحــبــاً بالوَفــدِ حُــرّا مــرحــبــاً

عَــائداً بالفــوز فــيــمــا طَلَبــا

باســـمـــاً يَحْـــملُ بُشـــراهُ إلى

أمَّـــةٍ تاقت إلى مـــا جَلَبـــا

هــاتفــاً بالتــاج يعلُو مَــفْـــرِقــاً

جَــاوز العَلْيــا وباهَى الشُّـــهــبَــا

ســـــاخـــــراً بِالموت يَبْلـوه إذا

كــانتِ الوحــدةُ فــيــه السَّــبَــبــا

لَمْ يُجــاملْ أحــداً في مـــبـــدأٍ

قـــدْ رآه الشَّـــعـــبُ أُمَّـــاً وأَبا

فــإذا مـــا انْتــعَــشتْ آمــالُنـا

وانْــتَــــــشتْ ثُمَّ بَـكـيْـنَـا طَـرَبـا

وجـــعلْنا فـــوْزَكم في ســعْــيِكم

في حِـمَى التــاريخِ عَــقْــداً ذَهَبــا

لاح لِلْعَــيْـنَـيْن ظِلٌّ مـــقْــبَضٍ

مِنْ خــلال الدمع يَحْكي الغَـيْـهَـبـا

حـــسْــبُنا ســبعٌ تـولَّتْ مَــرةً

لمْ نذُقْ فِــيــهنَّ إلا النَّصَـــبــا

أَوَلمْ نَأْتِ حليــفـــاً مُــخْلصـــاً

نَبْـــذُلُ الجُـــهْـــدَ لَهُ والنُّجُــبَـــا

نُـهــــدرُ الأرواح في نـصـــــرتِـه

ونـريقُ الدمعَ حـــــتى غَلَبـــــا

ثـمَّ جــــــئـنـا نـطـلـبُ الحـقَّ فـلـمْ

يكُ فـــيـــهمْ مَنْ يُلبّي الطَّلَبـــا

كم شَكوْنا فــأَصـمّــوا سـمْــعَـهُم

وبَكَيْنَا فـــأبانُوا الـعَـــتَـــبـــا

وبقِينا بينَ وعْدٍ فاترٍ
ثمّ خلفٍ يستفزُّ الغَضَبا
كلَّما مسُّوا لظَى ثوْرتنا
زيَّفوا القولَ وصاغوا الكَذِبا
ذكرياتٌ كُلّما مرّتْ بنا
علّمَتْنا كيفَ نَبْقى عَرَبا
نأخذُ الحقَّ مِن الحقِّ ولا
نرْتجيْه من وُعودِ الغُرَبَا
همْ أَرادوا وأبى اللهُ سوى
أنْ يتِمّ النُّور، والحقُّ أبى
«أنا لَوْلا أنَّ لي من أمّتي
خاذلاً ما بتُّ أشكو النُّوَبا»[1]
أمّةٌ قد سامَها الضَّرَّاءَ مَنْ
رَكِبَ الأوهامَ فيْما رَكِبا

(1) هذا البيت للشاعر حافظ إبراهيم.

طَعَنَ الأمّـــــةَ في عِــــزَّتهـــا

وادّعى الإصـلاحَ فـيـمـا ارتَكَبـا

ناصــــرَتْه فِــــئـــةٌ جـــاهـلةٌ

تخلُقُ الفــوضى وتهــوَى العَطَبــا

وتُلَبّـي - عن هـوىً - جـــــائـرةً

لِغـــريبِ الدار مــا قَــدْ طَلَبـا

تُشْــعلُ النارَ وتَلْهـــو حَـــوْلَهـــا

ليتَ شِــعــري مَنْ يكونُ الحَطَبــا

أيّ فـــتـــوى يدّعـــيـــهــا مـــارِقٌ

يجــعلُ الفــرقــةَ فـينا مَـذْهَبــا

أَوَلــمْ تَــسَــعَ طــرابـلــسُ إلــى

كلِّ مـــا نبْـــغي ونَرْجـــو أَرَبا

أَوَلم تَبْقَ على مـــيـــثـــاقـــهـــا

تحـفظُ العــهـدَ وتَرْعَى النَّسَـبَــا

أَوَلَمْ تَهْــتَــزَّ منْ فــرْحَــتــهـــا

عندمــا اهتــزَّ بهــا خـيــرُ نَبَـا

فَــعَــجِــيْبٌ أن نـرى الـبـعضَ وقــد

شكَّ في الأمــر وأبْدى الـعَــجَــبــا

جــاء مــا نـرجــوه أمــراً وقــفــا

حــطَّـم الـشـكَّ وفَـلَّ الـرِّيَـبَـــــــا

يا رجــالاً مَـــحَـــضـــوا أوطـانَـهُـم

أخلصَ الإيمانِ فِـــيــمــا وَجَــبــا

يا شــــبــــاباً نَـبَــــذوا أهـواءَهُم

مـــزَّقــوا الظُّلْمَ وشــقُّـوا الـحُـجُـبَـا

نــحــنُ أحـــــــرارٌ ونــأْبـى أن نُــرَى

فـي قُـــيـــودٍ أن نكونَ الـذَّنَـبـــا

نحـنُ أحـــرارٌ وأحـــرارٌ بِـمــــا

قـــد بَـذَلْـنـاهُ ومــا قَــد سُـكِـبَـــا

نــحــنُ أحـــرارٌ ولا يَـجــــدُرُ أنْ

نَـجْــحَــدَ الـرحــمنَ فِـيــمــا وَهَـبــا

كــيـف يقْـوَى الـبــعضُ أن يخْــذُلَنا

إنّ فـي الأمــر هـوىً مُـــسْـــتَـــغْــرَبـا

فــاحــفظُوا اســتــقــلالَكُم فــي عــملٍ

مــســتــمــرٍّ، واســتــحِــيْلوا لَهَــبــا

وافــتــــدُوا الـعـــاهِلَ بـالـرُّوحِ ومـــا

عَـــزَّ منكُمْ وأعِـــدُّوا القُــضُـــبَــا

وارفَـــعُـــوهـا رايةً خـــفَّـــاقـــةً

حـــرةً تَعْلو وتســـقـي الحِـــقَـــبـــا

واحــمِلوا المِشْـعَـل وامــضُــوا قــدُمــاً

إنّ يومَ المجــدِ يَسْــعـى خَـــبَـــبـــا

***

البقـة العاتيـة

1947

من الأدب الرمزي

قُلْتُ لِلْبَـــقَّـــةِ يا هذي أمـــا يُبكيكِ حـــالي
مـــا الذي غَـــرَّكِ مني، أسْـــقـــامي أم خـــيـــالي
أمْ دمٌّ أوشــكَ أن يـنـضـبَ مـن قـلّـة مـــــالـي
اذهـبـي بـالله عنـي، ودَعـــــيـني لِهـــــزالـي

***

فـــأجـــابتْ، وهـي تنســـابُ، بِغُنْجٍ ودلالِ
أَنْتَ يا صـــاح غَنِيٌّ العـــقلِ مكشـــوفُ الخَـــيـــالِ
أنا يا مِـــسكينُ في عـــيـــدٍ من الكَسْبِ الحـــلالِ
أنا كـالمســتــعــمِـر البـاغي لدى شَـعْبِ الضـلالِ
كلمـا شـاهَدْتُ شـخـصـاً مُـسْـتكيناً لانْحِـلالِ
قُلْتُ هذا مَـوْطنُ الخـيـرِ وألْقـيْتُ رِحَـالِي

***

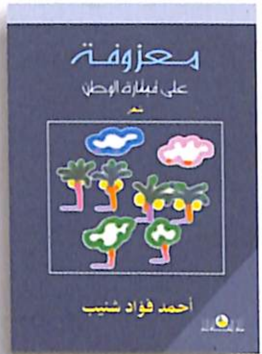
الفهـــرس



- (أحمد فؤاد شنيب) واحد من الشعراء الصادقين الذين نهضوا بمسؤولية القصيدة الجميلة، وحملوا عبء الحركة الشعورية الحديثة في ليبيا بعد جيل الشعراء: الشارف ورفيق والأسطى عمر.. وبقية الرواد.
- هاجرت أسرة شنيب من الوطن إلى بلاد الشام بسبب عنت الاحتلال الإيطالي وظلمه المتفجر حقدًا، وولد هناك.. على ضفاف نهر العاصي في حماه يوم انطلاق الثورة السورية سنة 1923 ضد الاحتلال الفرنسي، وتوفيا والداه عندما بلغ العاشرة سنة 1933، فتولى عمه المجاهد عمر فائق شنيب شؤونه ورعايته.
- في دمشق سنة 1942 أنهى دراسته الثانوية في مدرسة التجهيز ودار المعلمين، وكان قد اهتم به أساتذته وعنوا بتنمية عشقه للشعر والأدب، منهم الشاعر واللغوي المعروف محمد البزم (عضو المجمع اللغوي بدمشق)، والشاعر بدر الحامد، والشيخ علي الطنطاوي، والشيخ كامل التونسي، وغيرهم من أعلام الأدب والفكر آنذاك. وأسس خلال دراسته مع أحد زملائه من الليبيين المهاجرين مجلة أسمياها (الينبوع)، التي كانت تكتب باليد قبل أن يتمكنا من طباعتها لاحقًا. وشارك في مظاهرات الطلبة بدمشق ضد الحكم الفرنسي لسوريا، وأودع غرف التوقيف عدة مرات، وعُين عقب تخرجه مدرسًا في إحدى ضواحي دمشق.
- عاد شنيب إلى وطنه.. ليبيا سنة 1943، وكان قد بلغ من العمر عشرين عامًا، واشتغل مدرسًا في درنة لثماني سنوات، وانضم إلى جمعية عمر المختار بها، وتولى رئاسة رابطة الشباب فيها، وكان عبرها يسهم في نشاطها الثقافي والمسرحي ويلقي قصائده التي ظلت تنشرها صحيفتي برقة الجديدة والوطن، ومجلتي عمر المختار والفجر الصادرة في مدينة بنغازي خلال تلك الفترة.
- عمل الشاعر - من بعدُ - في عدة وظائف عامة ومسؤوليات تربوية وثقافية منها: أمانة سر مجلس نواب برقة عام 1950 - 1951، وأمينًا عامًا لوزارة

المعارف في الفترة من 1952 - 1959 وأسهم خلالها في لجنة إنشاء الجامعة الليبية التي ضمته مع الأساتذة عبدالسلام بسيكري، ومحمود البشتي، وإبراهيم المهدوي، ومصطفى بعيو، ومحمد فريد أبو حديد، وعين ملحقًا ثقافيًا بواشنطن وتولى الأمانة العامة لهيئة الملحقين الثقافية العرب هناك خلال 1959 - 1961، ثم تولى وظيفة مستشار ثقافي لليبيا في باريس 1961، واختير مندوبًا دائمًا لليبيا في منظمة اليونسكو إلى مارس 1963 حيث تولى وزارة المعارف في حكومة الدكتور محيي الدين فكيني إلى يناير 1964، كما شارك خلال هذه السنوات في بعثات دراسية من الأمم المتحدة في جامعتي باريس وبروكسل لدراسة علم الطفل، وعلم النفس التربوي في سنوات 1955، 1956، 1957، 1958، وكذا في تمثيل ليبيا في اللجان الثقافية للجامعة العربية، وعضوية الوفد الليبي في مؤتمرات الأدباء والكتّاب العرب، إضافة إلى حضوره عديد الأمسيات والأصبوحات الشعرية بكلية الآداب في الجامعة ببنغازي.

- بدأ نظم الشعر في الرابعة عشر من عمره، سنة 1937، وكانت موضوعات الحس الوطني ومعاناة الغربة وآلام اليتم طاغية في قصائده، وقد أذيع شعره في مرحلة لاحقة في محطات إذاعية، وتقرر تدريس نصوصه بالكتب المدرسية والجامعية الليبية، وهو يجهز لإصدار ديوانه.
- نشأ الشاعر أحمد فؤاد شنيب في بيئة وطنية، وأجواء عابقة بالانتماء إلى الجذور البعيدة، كان الوطن – ليبيا – في المهجر مختصرًا في حنايا البيت الذي تربى وسطه، فتح بصره على حكايات الوطن، والحنين إلى الوطن، والتواصل مع الوطن.
- ارتبط بعمه الرجل الوطني، الذي ينظم الشعر أيضًا، وعرف أنه يتولى أمين عام لجنة الدفاع الطرابلسي – البرقاوي بدمشق، وشاهد اجتماعات تلك اللجنة في منزله، وسمع مناقشات رجالها، ومنهم رئيسها بشير السعداوي وأعضاؤها: عبدالغني الباجقني، وبكري قدّوره، وخليفة شعبان، وخالد القرقني، وفوزي النعاس، وغيرهم الذين تعلّم منهم الوطنية والانتماء.



▪ يقدم مجلس الثقافة العام للقارىء الكريم مجموعةً من إصداراته الجديدة المتنوعة، التي تتضمن أجناسًا أدبيةً وفنيةً، تهدف إلى دعم الكتاب ونشر المعرفة وتنمية الذائقة الجمالية وإثراء الحركة الثقافية .. آمِلاً إسهامًا جادًّا يضيف إلى الحراك الثقافي رصيدًا مميزًا وفضاءً جديدًا للمعرفة وللحياة.

مجلس الثقافة العام